تربية المراهق في المدرسة الإسلامية



اللواء محمد جمال الدين

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

اللواء محمد جمال الدين محفوظ



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

* « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا »
* « لا يكلف الله نفسا الا وسعها »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

* « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »
* « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .
* «ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه » .

المقــدمة

مرحلة المراهقة : أهميتها وخطرها

ان مرحلة المراهقة من أخطر المراحل التى تواجه الآباء والمربين ، واجتياز الشباب لهذه المرحلة بسلام يؤذن بأنه سوف يمضى فى حياته صحيح النفس سوى الشخصية ، أما اذا لم يخرج منها الشباب سليما فان ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسى وسلوكه الاجتماعى فى المستقبل .

والشـــباب هم أمل الأمة وعماد نهضتها وحمـــاة عقيدتها وحريتها وأرضها وقادة مستقبلها ، لذلك فهم أمانة عظمى فى أعناق الآباء والمربين الذين عليهم أن يلتمسوا من تعاليم المدرسة الاسلامية ما يضىء لهم الطريق الى أداء تلك الأمانة على خير وجه فيصنعون شبابا يعز بهم الوطن ويسود . وينطبق عليهم وصف الفتية الذين ذكر الله شأنهم فى سورة الكهف تقديرا لصلابتهم فى الحق واستمساكهم بالعقيدة والمبدأ حيث قال تعالى: « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » ..

والمعنى العلمى للفظ المراهقة هو التدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى ويمكن تقسيم هـذا الدور الى المراحل الآتية :

أولا : ما قبل المراهقة وتبدأ عادة من سن العاشرة وتنتهى فى سن الثانية عشرة •

ثانيا : المراهقة المبكرة (١٣ ـــ ١٦) عاما •

ثالثا : المراهقة المتأخرة (١٧ ـــ ٢١) عاما •

والمراهقة بمعنى آخر هى المعبر بين الطفولة والنضـج •• واذا كان الوضع هو (ولادة) الطفل ، فان المراهقة هى (ولادة) الرجل أو السيدة •• وإذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ؛ فان ولادة الرجل تستغرق سنين •

وهكذا فالمراهقة ميلاد جديد للرجولة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ولذلك فمعناها علميا ـــ كما ذكرنا ـــ هو التدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى وهذا هو مصدر أهميتها وخطورتها وأثرها البعيد فى تكوين الشخصية من حيث سماتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية •

فمن حيث السمات الجسمية :

نلاحظ فى مرحلة المراهقة المبكرة نموا سريعا لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية مما يجعل المراهق يميل نحو الخمول والكسل وتقل مقاومته للأمراض .

ثم يصل النمو الجسمى الى حالة الاستقرار حينما يكتمل النضج البدنى تقريبا فى مرحلة المراهقة المتأخرة وهنا نلاحظ فى المراهق ميلا نحو النشاط الذى عادة ما يتجاوز قدراته وطاقاته .

ويدخل الجسم الى مرحلة البلوغ وما يصاحبها من اشتداد عمل الغدد النخامية والتناسلية ومن تغيير فى الصوت بين نغمات حادة دقيقة ونغمات ضخمة خشنة وتيقظ الاهتمامات الجنسية ثم يصل المراهق فى مرحلة المراهقة المتأخرة الى النضج الجنسى وتتضح عليه نزعات الرجولة .

ومن حيث السمات العقلية :

تبدأ الفروق الفردية فى النواحى العقلية تتضح وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق فى الظهور ويصبح قادرا على تركيز الانتباه وشغوفا بالمعارف الجديدة ويبدأ فى البحث فى مسائل الدين والعقائد التى كان يتقبلها من قبل عن طريق الانطباع أو المحاكاة وعندما يصل الى مرحلة المراهقة المتأخرة يكتمل نضج

القدرات العقلية ويزيد اهتمامه بالمناقشة وبحث الشئون المتعلقة بالدين والرغبة فى الكشف عن الأسباب مما قد يصل الى مستوى الشك .

وتنطلق أحلام اليقظة كوسيلة من وسـائل ارضاء النفس ومتنفسا لآماله وطموحه .

ومن حيث السمات النفسية والاجتماعية :

يبدأ المراهق فى التخلص من الأنانية وينمو لديه الاحساس بالرابطة والولاء نحو الجماعة (الى درجة التعصب أحيانا) . ويتصف بالخجل نتيجة للتغيرات العضوية المفاجئة ويميل الى التردد نتيجة عدم الثقة فى نفسه لعدم فهمه لطبيعة تلك التغيرات ومداها ، وينزع المراهق الى التذمر والانسحاب من سلطة الأبوين الى سلطة الجماعة ويميل الى التحرر من السلطة ويثور عليها أحيانا .

وتبدأ مرحلة من الاضطراب الانفعالى مع حساسية شديدة للنقد ويزداد الاعتزاز بالنفس ، ويهتم المراهق بمظهره الشخصى ويميل الى الملابس الزاهية ولفت النظر لنفسـه ويتميز النمو الوجدانى بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا ويميل الى مشاركة الكبار ألعابهم وتقليدهم ويتقلب فى تصرفاته بين الكبار والصغار ، وتبدو انفعالاته عنيفة مع العجز عن التحكم

فيها ــ ونراه يثور لأتفه الأسباب • وبعض المراهقين يتميزون باليأس والحزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التى تحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم وقد يؤدى هــذا الى التفكير فى الانتحار •

وفى مرحلة المراهقة المتأخرة ينتقل المراهق من الاعتماد على غيره الى الاعتماد على نفسه ويظهر ميله الى مقاومة السلطة والثورة ضد الأسرة والمدرسة والتمرد والاحتجاج والغضب مع زيادة الرغبة فى الاشتراك مع أصدقائه وتبادل الحديث معهم خاصة ما يتصل منها بأخبار الرياضــة والجنس والملابس وشــعوره بالمسئولية نحو الجماعة ، ويزيد ميله الى اختيار الأصدقاء بنفسه ويتأثر بهم من الناحية الخلقية مع رغبته فى التحرر والانطلاق •

ويظهر ميل أفراد كل جنس الى الجنس الآخر والاهتمام بالسلوك فى مواجهة الجنس الآخر مع العناية بالمظهر والتأنق فى الملبس واختيار الألوان الملفتة للنظر والتى تطابق «الموضة» ــ ويزيد ميل المراهق الى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال والميل للحفلات الجماعية والألعاب المشتركة وخاصة التى يشترك فيها الجنسان ، وتتجه عواطفه نحو الأشياء والمعانى الجميلة وتتميز بالرومانسية، ويميل الى الزعامة والقيادة•

مرحلة حافلة بالمشكلات الانفعالية :

هذه السمات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية التى عرضناها باختصار تصاحبها مشكلات انفعالية يؤدى الجهل بها أو تجاهلها من جانب الآباء والمربين الى الحاق أشد الأضرار وأخطرها بالبناء النفسى للشباب .

وترجع حساسية المراهق الانفعالية واضطرابه الانفعالى الى عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التى يعيش فيها ، اذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا أن طريقة المعاملة التى يتلقاها لا تتناسب مع ما وصل اليه من نضج وما طرأ عليه من تغير . ان البيئة الخارجية ممثلة فى الأسرة والمدرسة والمجتمع لا تعترف بما طرأ على المراهق من نضج ، ولا تأبه له ولا تقرر رجولته وحقوقه كفرد له ذاتية مستقلة ويفسر المراهق كل مساعدة له من قبل والديه على أنها تدخل فى أموره ، وأن المقصود من هذا التدخل اساءة معاملته والتقليل من شأنه ويأخذ الاعتراض على سلوك والديه أشكالا عدة ، أهمها : العناد والسلبية وعدم الاستقرار أو الالتجاء الى بيئات أخرى قد يجد فيها منفذا للتعبير عن حريته المكبوتة .

ومن بين الأسباب الأخرى التى تعمل على اضطرابه وعدم استقراره الانفعالى عجزه المالى الذى يقف حائلا دون تحقيق رغباته فقد يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة

وهو فى الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم أو الاشتراك فى مسراتهم وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة •

وليست العقبات المالية قاصرة على الاشتراك في مسرات رفاقه ، بل انه فوق ذلك يشعر أنه قد اكتمل من الناحية الجنسية وأنه يريد أن يعبر عن تلك الدوافع الجامحة فى نفسه بالزواج الا أنه يصطدم بالواقع ، فالقصور فى الموارد المادية يقف بينه وبين ما ينشد من استقلال ومن التعبير عن دوافعه الفطرية ، وهنا تزداد حدة التوتر الانفعالى ، اللهم الا اذا وجد بديلا يعبر به عن الدافع الجنسى القوى ويكون الاحتلام والاستمناء من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا النشاط الجنسى الزائد وان كانت تعتبر فى نظر الكثيرين من الفتيان المراهقين كابوسا يقض مضاجعهم لأنهم يعتبرونها خطيئة ، وتصبح مصدرا للقلق العقلى وخاصة اذا تعرضوا للتقريع أو التنديد •

وثمة ظاهرة أخرى يتسبب عنها مضايقات المراهق ، ذلك ان الكبار ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج ، فهذا التطور والنمو الجسمى يجعلهم يتوقعون منه نضوجا فى سلوكه العقلى والاجتماعى • ولما كان النضج الجسمى فى مرحلة المراهقة كما ذكرنا يتم سريعا ــ فى ظرف عامين أو ثلاثة ــ فان هذه فترة قصيرة وغير كافية لتحقيق نضج المراهق من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على جسمه من نمو سريع ، وهو لهذا السبب يقوم ببعض

التصرفات الصبيانية التى تكون هدفا لنقد الكبار . ان هذا النقد وعجز المراهق عن ملاءمة نفسه مع البيئات التى يتعامل فيها مع الكبار يشعره بعدم الأمن وخيبة الأمل .

ومن الأمور الأخرى التى تسبب قلق المراهق واضطراباته ، شعوره بأن الأسرة تتطلب منه تحمل بعض المسئوليات التى لا تتفق مع قدراته ومستوى نموه ، فهو فى نظر والديه لم يعد بعد الطفل الذى تجاب كل مطالبه دون تحمل للمسئوليات ، ولكنه وقد أصبح مراهقا يجد نفسه مطالبا أمام والديه بأن يعتمد على نفسه فى وقت تعجز فيه امكانياته عن تحقيق رغبتهم .

ومن الأسباب التى تساهم فى قلق المراهق الانفعالى ما يتصل بالأسرة والمدرسة وينشأ عن هذا القلق والاضطراب نوع من التمرد ، تمرد موجه نحو الوالدين وتمرد آخر موجه نحو المسئولين فى المدرسة . وتمرد المراهق على السلطة العائلية والسلطة المدرسية يحدث بسبب القيود التى تفرضها المدرسة والأسرة والتى تحول بينه وبين تطلعه الى التحرر والاستقلال ولذلك يعتبر كل شيء فى المنزل أو المدرسة مصدر ضيق له ويثور دائما على كل ما يوجه اليه من نصح ، ويرى فى هذا النصح اعتراضا على حريته واستقلاله ويميل دائما الى تحدى الآراء والأوضاع القائمة .

هى مرحلة التكوين الحقيقى للاتجاهات النفسية :

كذلك ترجع أهمية مرحلة المراهقة وخطرها الى أنها المرحلة التى تتكون فيها « الاتجاهات النفسية » بصورة حقيقية لها فاعليتها .

فالاتجاهات النفسية لا تتكون عادة قبل سن المراهقة لأن اكتسابها يتطلب نضوجا عقليا بقدر معين لا يتوفر فى مرحلة الطفولة .

والاتجاهات النفسية هى ميل عام مكتسب وثابت نسبيا يؤثر فى دوافع الفرد ويوجه سلوكه ، كالميل الى أشياء أو موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها أو يرحب بها أو يعرض عنها أو يرفضها . واتجاه التدين مثل من أمثلة الاتجاهات النفسية .

وبمعنى آخر فان الاتجاهات النفسية تمثل مجموعة المعتقدات والمشاعر والميول السلوكية التى يحملها الفرد تجاه موضوع معين وبذلك فان السلوك الاجتماعى للانسان فى كافة مظاهره وأشكاله انما يتأثر ويتحدد بمجموعة اتجاهاته .

ويبدى كثير من علماء النفس اقتناعهم بأن الاتجاه يتكون من عناصر ثلاثة هى :

ــ العنصر الفكرى أو العقيدة .

ــ العنصر العاطفى أو المشاعر .

ـ الميل للتصرف والسلوك بشكل معين •

وتتكون الاتجاهات النفسية بطرق كثيرة نذكر منها :

١ ـ التقليد أو تقبل المعايير الاجتماعية وغيرها دون نقد أو مناقشة ويكون ذلك عن طريق الايحاء فالطفل يكتسب أغلب اتجاهاته عن الأسرة التى نشأ فيها وتؤكد أبحاث علم النفس أهمية الأسرة فى تكوين الاتجاهات •

٢ ـ الانفعالات الحادة وهذه يكون أثرها قويا فى تكوين الاتجاهات فقد يؤدى أسلوب التربية الخاطىء مثلا الى تعريض المراهق لخبرات انفعالية حادة تحوله عن اتجاه التدين •

٣ ـ وتتكون الاتجاهات فى أثناء محاولة الفرد اشباع حاجاته المختلفة •

٤ ـ وتتكون الاتجاهات أيضا وتتشكل طبقا للمعلومات التى تتوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة •

٥ ـ وتتأثر اتجاهات الفرد بطبيعة الجماعات التى يتفاعل معها مثل الأسرة وجماعة العمل وجماعات الأصدقاء •

ونؤكد هنا ما سبق ذكره من أن الاتجاهات النفسية لا تتكون عادة قبل سن المراهقة لأن اكتسابها يتطلب نضوجا عقليا وهذا لا يتوافر فى مرحلة الطفولة •

فاتجاه التدين الحق الذى ينبع من أغوار النفس لا يقع بهذه الصورة فى عهد الطفولة المستكينة المقلدة وانما يظهر فى مرحلة المراهقة مرحلة الحرية والاستقلال العقلى .

ولقد أثبتت الأبحاث النفسية أن ظهور اتجاه التدين وبدايته القوية الصحيحة يكون فى مرحلة المراهقة .

فلقد أثبت العالم كووجس بعد دراسة ١٧٨٤ حالة أن العمر العادى الذى تحدث فيه ظاهرة التحول الدينى الحق هى سن السادسة عشرة وقام العالم استانلى هول بدراسة أكثر من أربعة آلاف حالة وانتهى الى ما انتهى اليه سابقه .

والنتائج العامة للدراسات النفسية فى هذا الصدد تتفق على أن الفترة بين العاشرة والعشرين هى الوقت الذى تحدث فيه اليقظة الدينية بأعلى النسب وأكثر الأعداد ، أما قبل هذه الحقبة أو بعدها فعدد الحالات صغير نسبيا ..

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول النبى عليه الصلاة والسلام « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع » ففى الحديث تأكيد لضرورة أن يتعلق الولد بالصلاة فى تلك المرحلة السنية الهامة ..

والطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة كالتربية الدينية لا يتم بالدرجة الأولى عن

طريق النصح والارشاد وانما تتكون الاتجاهات بالطرق الآتية :

١ ـ الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعى فى البيئة المنزلية والمدرسية وغيرها وأثناء الرحلات بما فيها من أنشطة مختلفة حيث يمارس الفرد ما يستهدف تحقيقه من اتجاهات ٠

٢ ـ الترغيب ويعتبر من أهم أساليب خلق الاتجاهات فالرغبة فى الشيء تعتبر من أهم الدوافع اليه ٠

٣ ـ القدوة الطيبة ٠٠

المراهقة والانحراف

ويتعرض الشباب فى مرحلة المراهقة بالذات أكثر من أية مرحلة أخرى من مراحل العمر للانحراف سواء فى اتجاهاته الدينية أو الفكرية أو السلوكية ؟ ٠٠ فتراه يقع بسهولة وبسرعة فى براثن المفسدين والمضلاين ودعاة الاستعمار الفكرى الذين يسعون الى تحطيم عقائد الشباب وزعزعة ايمانهم وتقويض دعائم بنيانهم العقلى والنفسى والاجتماعى ٠

والواقع أن الدراسات النفسية والاجتماعية تفسر لنا سر هذه الظاهرة بكل وضوح ٠

ومما لاشك فيه أن أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية

يبنون خططهم بشكل احكام على تلك الدراسات النفسية والاجتماعية ، فهم أولا على علم تام بخصائص وسمات مراحل النمو والنضج فى حياة الانسان ومن ذلك يدركون أن مرحلة المراهقة هى أنسب تلك المراحل لتحقيق أغراضهم .

وثانيا : هم على علم تام بالاتجاهات النفسية وكيف تتكون ومتى يتم تكوينها .

وثالثا : هم على علم تام بأساليب الدعاية والاعلام والحرب النفسية ومختلف فنون التأثير على العقول والعواطف والاتجاهات.

فنراهم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال فى الرأى ، تلك المعانى التى تصادف هوى لدى المراهق على وجه الخصوص ، وتتفق تماما مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته . فنراه ـ لأن نضجه العقلى والنفسى لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

انما تنجح المقالة فى المرء اذا صادفت هوى فى الفؤاد

السبيل الى التربية السليمة للمراهق :

* وتقتضى التربية السليمة للمراهق دراسة واعية لخصائص مرحلة المراهقة وسماتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، والتعرف على أسباب مشكلات المراهق الانفعالية لكى يصبح

المربى على بينة من الطابع العام لميوله وغرائزه ودوافع سلوكه وهذا هو المدخل العلمى لاختيار أسلوب التربية المناسب الذى يعاون المراهق كما يعاون والديه والقائمين على تربيته على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام ، ولقد أوصى عقبة بن أبى سفيان مؤدب ولده فقال : « كن لهم كالطبيب الرفيق الذى لا يعجل بالدواء ، حتى يعرف الداء » .

* واذا عرفنا أن مرحلة المراهقة هى مرحلة التكوين الحقيقى والفعال للاتجاهات النفسية أدركنا أن المراهق لو ترك وشأنه فى تلك المرحلة الحرجة والخطيرة ، سوف يكون وحيدا فى مهب الرياح والعواصف الهوجاء التى تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكرى ودينى فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والأفكار الضالة التى لا يكاد عقله الناشىء يتلقاها حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

* وأهم ما يلزم على المربين أن يضعوه فى اعتبارهم وهم يخططون لتلك المهمة العظمى هو أن يدركوا أنهم لا يواجهون فقط تحدى خصائص المراهقة بقوة غرائزها وعنادها والميل الى مقاومة توجيه الآباء والمربين والنزعة الاستقلالية والميل الى المناقشة والجدل وخاصة فى مسائل الدين الى حد الشك ، بل

عليهم أن يدركوا أنهم يواجهون أيضا تحديا آخر هو جهد أعداء الدين والأمة لمحاولة جـذب المراهق بعيدا عن الدين والقيم والتقاليد مستخدمين من أساليب التشويق ما يسحر ألباب تلك البراعم البشرية الغضة ، ويزين لها طريق الغواية والانحراف .

* وتطبيقا لمبدأ « الوقاية خير من العلاج » فانه يتحتم على الآباء والمربين أن يدركوا أن تلك المرحلة هى الأوان الحقيقى لجهدهم الواعى المكثف والعمل الموصول للتربية الدينية والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى شبابنا ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله .

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ، فان من شب على شيء شاب عليه ، ونفس المراهق كما قدمنا تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر وتنطبع فيها الأخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الأخلاق السيئة فاذا وجد فى هذه المرحلة الحرجة من يحكم تربيته ويحسن تأديبه ويسلك به سبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال شب حسن الأخلاق طيب النفس متعلقا بآداب الفضيلة متمسكا بحبل الهدى والرشد ، مترفعا عن الرذائل والخطايا ويعتصم بالله « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » ...

* واذا كانت هذه الدراسات النفسية والاجتماعية لا تخفى

على أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية فتراهم يتصيدون الشباب في هذه السن بالذات بتخطيط محكم ومدروس لتحقيق أغراضهم ، فان على الآباء والمصلحين والمربين الغيورين على الدين وعلى الأمة وعلى شبابها عدة المستقبل — من باب أولى — أن يكونوا مستعدين بالخطط الوقائية الواعية التي تحمي شبابنا وتحمي عقائدنا وتفوت على الأعداء غرضهم ، وهذا الأمر من ألزم الواجبات التي لا يصح أصلا التهاون فيها لشدة خطرها وعظم مسئوليتها قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .

* ولقد رسم الاسلام الطريق الصحيح لبناء الانسان صحيح النفس والعقل والجسم، بحيث يصبح لبنة قوية متماسكة وعنصرا ايجابيا صالحا في مجتمعه الكبير ، كما رسم الطريق الصحيح لبناء المجتمع الانساني الفاضل الذي يشكل البيئة الصالحة لبناء الانسان بالتنشئة السليمة والتربية القويمة ، ويتيح له اظهار طاقاته المدخرة فيه .

* ولقد وضع هذا المنهج التربوي الشامل موضع التطبيق منذ أربعة عشر قرنا ، وأثبت نجاحه التام في المراحل التي كان تطبيقه فيها سليما ومحكما ، وظهرت آثار هذا النجاح في قوة بناء المجتمع الاسلامي من جهة ، وفي ازدهاره وتقدمه من جهة أخرى ، أثبتت التجارب أن المسلمين لم يقصروا عن بلوغ هذا

النجاح فى مراحل من تاريخهم الا لاهمـــالهم بعض الجوانب الأساسية من هذا النظام فى أساليب حياتهم وتربية شبابهم ، وان العلاج الناجح لما يصيب الشباب من أمراض الانحراف والحصانة الواقية من تلك الأمراض ، انما هما فى العمل بكل ما يقوم عليه نظام ديننا الحنيف من عقيدة وعبادة ومعاملة وتربية خلقية ، واتباع لأوامر الله واجتناب لنواهيه وبعد عن الشبهات فى تنمية مبادىء الدين فى أذهان الشباب وضمائرهم منذ صغرهم وتعهدهم بتلك المبادىء طوال مراحل نموهم ، ومقاومة العوامل التى تضعف الوازع الدينى فى نفوسهم ، واحاطتهم بجو من الاستقامة والنقاء الاجتماعى ، وابقاء الشخصية الاســلامية الســوية فى تاريخها وبطولاتها وفضائلها ومعارفها وحضارتها ماثلة دواما أمام أعينهم ، والتصدى المستنير لكل مسالك الشكوك والاضــطرابات فى تفكيرهم .

* وسوف يسأل الآباء والمربون عما فعلوا لتربية الأبناء كما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .

الفصل الأول

علم نفس (سيكولوجية) المراهقة

تعتبر دراسة علم نفس المراهقة من الضرورات الحيوية ـ كما قدمنا ـ للمربى حتى يكون على بينة بخصائص تلك المرحلة الحرجة الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، وما يصاحبها من مشكلات انفعالية .. وهذه الدراسة هى المدخل الصحيح لاختيار المنهج الصحيح للتربية ، والذى ينسجم مع واقع المرحلة وسماتها ، عملا بمبدأ « لكل مقام مقال » ..

معنى المراهقة :

ان كلمة مراهقة (Adolescence) مشتقة من الفعل اللاتينى (Adolescere) ومعناه التدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى .

والفرق بين كلمة مراهقة وكلمة بلوغ (Puberty) ان البلوغ يقتصر على ناحية واحدة من نواحى النمو وهى الناحية الجنسية لذلك يعرف البلوغ بأنه « نضوج الغدد التناسلية واكتساب

معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة الى فترة الانسان الراشد » .

تقسيم دور المراهقة (١) :

ويمكن تقسيم هذا الدور الى المراحل الآتية :

أولا : ما قبل المراهقة وتبدأ عادة من سن العاشرة وتنتهى فى سن الثانية عشرة .

ثانيا : المراهقة المبكرة (١٣ — ١٦) عاما .

ثالثا : المراهقة المتأخرة (١٧ — ٢١) عاما .

والمراهقة بمعنى آخر هى المعبر بين الطفولة والنضج ... واذا كان الوضع كما ذكرنا هو (ولادة) الطفل ، فان المراهقة هى (ولادة) الرجل أو السيدة .. واذا كانت ولادة ـ الطفل تستغرق ساعات ، فان ولادة الرجل تستغرق سنين ..

---

(١) اتفق أيضا على تقسيم حياة الفرد الى المراحل التالية :

من يوم الولادة الى سن سنتين .. .. مرحلة المهد
من سن سنتين الى سن ٦ سنوات .. .. مرحلة الطفولة المبكرة
من سن ٦ سنوات الى سن ١٢ سنة .. .. مرحلة الطفولة المتأخرة
من سن ١٢ سنة الى سن ١٥ سنة .. .. مرحلة بداية المراهقة
من سن ١٨ سنة الى سن ٢٢ سنة .. .. مرحلة المراهقة المتأخرة
من سن ٢٢ سنة الى سن ٣٠ سنة .. .. مرحلة النضج والشباب
من سن ٣٠ سنة الى سن ٦٠ سنة .. .. مرحلة وسط العمر أو الرجولة
من سن ٦٠ سنة فما فوق .. .. مرحلة الشيخوخة

وهكذا فالمراهقة ميلاد جديد للرجولة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ولذلك فمعناها علميا ــ كما ذكرنا ــ هو التدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى، وسوف نبحث السمات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية لكل من مرحلة المراهقة المبكرة والمراهقة المتأخرة •

سمات (خصائص) مرحلة المراهقة المبكرة

أولا : السمات الجسمية :

(أ) نمو جسمى سريع لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية •

(ب) نمو عضلى وعظمى سريع ويلاحظ أن النمو العظمى أسرع من العضلى فتطول الذراعان دون أن تنمو عضلاتهما نموا مناسبا ويعرض الكتف دون أن يملأ ويترتب على التغييرات السابق الاشارة اليها ، ميل نحو الخمول والكسل والتراخى وعدم دقة الحركات•

(جـ) فى نهاية المرحلة تكتمل مرحلة البلوغ وفى معظم الأحوال يبدأ التغيير فى الصوت بين نغمات حادة دقيقة وبين نغمات ضخمة خشنة تؤدى غالبا الى الاحساس بالخجل •

(د) اشتداد عمل الغدد النخامية والتناسلية مما يحدث تغييرا فى شكل الأعضاء التى تميز الجنسين يصاحبه تيقظ الاهتمامات الجنسية ومزاولة العادة السرية فى غالبية الحالات .

(هـ) يبدو الاهتمام الشديد بالجسم والقلق للتغييرات المفاجئة فى النمو الجسمى .

(و) ازدياد الشهية الى الأكل والى النوم الكافى والراحة الكافية .

(ز) تقترب حالته الصحية العامة من حالة المرض مع التعرض للاصابة بالأنيميا التى تجعل الجسم أقل مقاومة للأمراض .

ثانيا : السمات العقلية والثقافية :

(أ) تبدأ الفروق الفردية فى النواحى العقلية تتضح وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق فى الظهور .

(ب) يصبح قادرا على تركيز الانتباه فى المحاضرات والأحاديث الطويلة وخاصة اذا اتفقت مع ميوله ورغباته .

(جـ) يبدأ شغفه بالعلوم وخاصة المتصلة بالبحر والجو

والميل الى الرحلات والتجول بهدف اكتساب معارف ثقافية جديدة وزيادة خبراته •

(د) يبدأ فى البحث فى مسائل الدين والعقائد التى لم يعد يتقبلها عن طريق الانطباع •

ثالثا : السمات النفسية والاجتماعية :

(أ) يبدأ فى التخلص من الأنانية وينمو الاحساس بالرابطة والولاء نحو الجماعة ويصل هذا الولاء فى كثير من الأحيان الى تعصب أعمى •

(ب) يتصف بالخجل نتيجة للتغيرات العضوية المفاجئة ويميل الى التردد نتيجة عدم الثقة فى نفسه لعدم فهمه طبيعة التغيرات ومداها •

(جـ) نزوع الى التذمر والانسحاب من سلطة الأبوين الى سلطة الجماعة ويميل الى التحرر من السلطة ويثور عليها أحيانا •

(د) يميل الى اختيار أصدقائه بنفسه لا أن تفرض الأسرة عليه أصدقاء •

(هـ) تبدأ مرحلة من الاضطراب الانفعالى وحساسية شديدة للنقد ويزداد الاعتزاز بالنفس •

(و) يهتم المراهقــون بمظهرهم الشخصى ويميلون الى الملابس الزاهية ولفت النظر •

(ز) يتميز النمو الوجدانى بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا •••

(ح) مشاركة الكبار ألعابهم وتقليدهم ويتقلب فى تصرفاته بين الكبار والصغار •

(ط) تبدو انفعالاته عنيفة مع عدم استطاعته التحكم فيها ويثور لأتفه الأسباب •

(ى) بعض المراهقين يتميزون باليأس والحــزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التى تحول بينهم وبين تحقيق رغبــاتهم وقد يؤدى هــذا الى التفكير فى الانتحار •

(ك) تكوين بعض العواطف الشخصية نتيجة نمو الذات •

سمات مرحلة المراهقة المتأخرة :

اولا : السمات الجسمية :

(أ) مرحلة استقرار فى النمو الجسمى من حيث الحجم والوزن مع بعض النمو فى العضــلات والصــدر

والكتفين ويصل المراهق الى النضج البدنى تقريبا ويتحسن التوافق العضلى العصبى •

(ب) يميل الى استنفاد طاقة نشاط أكثر مما يملك فهو يرهق نفسه بالتمرينات البدنية كى يقوى عضلاته دون الاهتمام بقدرته وطاقته •

(جـ) يسعى الى اكتساب الرشاقة بالتدريب على أنواع الرياضة الفردية التى تنظم جسمه وتكسبه الرشاقة •

(د) وضوح نزعات الرجولة والوصول الى النضج الجنسى •

ثانيا ـ السمات العقلية والثقافية :

(أ) يكتمل نضج القدرات العقلية المختلفة وتتضح الفروق الفردية ثم يأخذ النمو العقلى فى البطء ابتداء من السادسة عشرة •

(ب) يتميز بالطابع الخيالى ويتجه الى الفنون الجميلة والقراءة التى تساعد على صقل خياله •

(جـ) تنطلق أحلام اليقظة كوسيلة من وسائل ارضاء النفس ومخرجا لآماله ومتنفسا لطموحه (ستشرح فيما بعد) •

(د) يميل الى دراسة الأجهزة (فك وتركيب) (سينما ــ اذاعة) •

(هـ) يفضل المراهق التذكر القائم على الفهم لا مجرد الحفظ •

(و) بدء الاهتمام بالتخصص فى الدراسات أو المهنة وازدياد التفكير فى أمر العمل والمستقبل •

(ز) يهتم ببحث الشئون المتعلقة بالدين والفلسفة والرغبة فى الكشف عن الأسباب والمسببات مما قد يصل الى مستوى الشك •

(ح) ازدياد الرغبة فى المناقشة •

(ط) قراءاته : قصص المغامرات والاختــراعات والقصص الغرامية والقصص الغامضة البوليسية والمجـــلات والجرائد مع الاهتمام بأخبار الرياضة والجريمة •

ثالثا ــ السمات النفسية والاجتماعية :

(أ) ينتقل من مرحلة الاعتماد على الغير الى الاعتماد على النفس

(ب) الميل الى النقد وتغيير الأوضاع مصحوبا باقتراحات عملية فى الاصــلاح •

(جـ) الميل الى مقاومة السلطة والثورة ضد الأسرة والمدرسة والتمرد والاحتجاج والغضب ٠

(د) زيادة الرغبة فى الاشتراك مع أفراد « الشلة » وتبادل الحديث معهم خاصة ما يتصل منها بأخبار الرياضة والجنس والملابس وشعوره بالمسئولية نحو الجماعة ٠

(هـ) يزداد ميله الى اختيار الأصدقاء بنفسه ويتأثر بهم من الناحية الخلقية مع رغبة فى التحرر والانطلاق ٠

(و) ميل أفراد كل جنس الى الجنس الآخر والاهتمام بالسلوك فى مواجهة الجنس الآخر ٠

(ز) زيادة الاهتمام بالمظهر والتأنق فى الملبس مع اختيار الألوان الملفتة للنظر والتى تطابق الموضة ٠

(ح) ازدياد الميل الى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال ٠

(ط) الميل للحفلات الجماعية والألعاب المشتركة وخاصة تلك التى يشترك فيها الجنسان ٠

(ى) تتجه عواطفه نحو الأشياء والمعانى الجميلة وتتميز بالرومانسية ٠

(ك) يميل الى الزعامة والقيادة ٠

ومن الضرورى جدا للآباء والمربين ـ كما بينا ـ أن يتفهموا الأسباب الكامنة وراء مشكلات المراهق الانفعالية .

فقد يؤدى الجهل بهذه الأسباب أو اهمال النظر اليها الى عواقب وخيمة من أبرزها حدوث التصادم بين المراهق وبين القائمين على تربيته وهو الأمر الذى يجب تفاديه والحرص على منعه باصرار وفيما يلى أبرز هذه الأسباب التى سبق ذكرها اجمالا :

١ ـ العجز عن التكيف مع البيئة :

ان حساسية المراهق الانفعالية واضطرابه الانفعالى ترجع الى عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التى يعيش فيها ، اذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا أن طريقة معاملته لا تتناسب مع ما وصل اليه من نضج وما طرأ عليه من تغير ، فالبيئة الخارجية ممثلة فى الأسرة والمدرسة والمجتمع لا تعترف بما طرأ على المراهق من نضج ، ولا تأبه له ولا تقرر رجولته وحقوقه كفرد له ذاتية مستقلة ويفسر المراهق كل مساعدة له من قبل والديه على أنها تدخل فى أموره ، وأن المقصود من هذا التدخل اساءة معاملته والتقليل من شأنه ويأخذ الاعتراض على سلوك والديه أشكالا عدة ، أهمها : العناد والسلبية وعدم الاستقرار ، أو الالتجاء الى بيئات أخرى يجد فيها منفذا للتعبير عن حريته المكبوتة .

٢ ـ العجز المالى :

ومن بين الأسباب الأخرى التى تعمل على اضطرابه وعدم استقراره الانفعالى ، عجزه المالى الذى يقف دون تحقيق رغباته فقد يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة وهو فى الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم أو الاشتراك فى مسراتهم وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة •

٣ ـ الدافع الجنسى :

وليست العقبات المالية قاصرة على الاشتراك فى مسرات رفاقه ، بل انه فوق ذلك يشعر أنه قد اكتمل من الناحيةالجنسية وأنه يريد أن يعبر عن تلك الدوافع الجامحة فى نفسه بالزواج الا أنه يصطدم بالواقع ، فالقصور فى الموارد المادية يقف بينه وبين ما ينشد من استقلال ومن التعبير عن دوافعه الفطرية ، وهنا تزداد حدة التوتر الانفعالى ، اللهم الا اذا وجد بديلا يعبر به عن الدافع الجنسى القوى ويكون الاحتلام من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا النشاط الجنسى الزائد وعلى الرغم من أن هذه عملية طبيعية ، الا أنها بالنسبة للكثير من الفتيان المراهقين كابوس يقض مضاجعهم ، فهم يعتبرونها خطيئة ثم ان بعض الآباء غالبا ما يزيدون الطين بله ويثقلون كواهل أبنائهم نتيجة لسوء الفهم والتقدير وهكذا يصبح الأمر الطبيعى مصدرا للقلق والصراع العقلى ، بل يسبب فى بعض الأحيان شقاء يستمر مدى الحياة •

وما يقال عن الاحتلام يقال كذلك عن العادة السرية ، فعلى الرغم من أن عملية الاستمناء لا تعد انحرافا حقيقيا الا اذاتمكنت من الشخص بدرجة زائدة عن الحد ، الا أنه يترتب عليها مشكلة أخرى ، تتمثل فى الصراع العقلى الذى يحدث بسبب ممارستها ونتيجة للتنديد بها اذ يحتمل أن ينتج عن ذلك شعور بالخطيئة وخوف ووجل ، ومما يترتب عليه فقدان الشخص لثقته بنفسه، والواقع أن القضاء على عادة الاستمناء لا يكون عن طريق التقريع أو العقاب أو التشهير لأن ذلك يدفع الى زيادة التكتم والاستمناء .. وتبدو مضايقات المراهق أو المراهقة بسبب ما يشعر به من عدم الثقة اذا ما وجد فى بعض المواقف الاجتماعية التى يضطر الى الاشتراك فيها مع الجنس الآخر فحينئذ يشعر المراهق بعدم الانسجام وينجم عن ذلك ارتباك .

٤ ـ عدم تناسب النضج العقلى مع النضج الجسمى :

وثمة ظاهرة أخرى يتسبب عنها مضايقات المراهق ـ ذلك أن الكبار ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج ، فهذا التطور والنمو الجسمى يجعلهم يتوقعون منه نضوجا فى سلوكه العقلى والاجتماعى ، ولما كان النضج الجسمى فى مرحلة المراهقة يتم سريعا فى ظروف عامين أو ثلاثة فان هذه فترة قصيرة غير كافية لتحقيق نضوج المراهقين من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على جسمه من نمو سريع ، وهو لهذا السبب يقوم ببعض التصرفات

الصبيانية التي تكون هدفا لنقد الكبار ، وهذا النقد وعجز المراهق عن ملاءمة نفسه مع البيئات التي يتعامل فيها مع الكبار يشعره بعدم الأمن وخيبة الأمل •

٥ ـ تكليفه بمسئوليات فوق قدراته :

ومن الأمور الأخرى التي تسبب قلق المراهق واضطراباته، شعوره بأن الأسرة تتطلب منه تحمـــل بعض المسئوليات التي لا تتفق مع قدراته ومستوى نموه ، فهو في نظر والديه لم يعد بعد الطفل الذي تجاب كل مطالبه دون تحمل للمسئوليات ولكنه وقد أصبح مراهقا يجد نفسه مطالبا أمام والديه بأن يعتمد على نفسه في وقت تعجز فيه امكانياته عن تحقيق رغبتهم •

٦ ـ شعوره بعدم الاستقلال والتحرر :

ومن بين الأسباب التي تساهم في قلق المراهق الانفعالي ما يتصل بالأسرة والمدرسة وينشأ عن هذا القلق والاضطراب نوع من التمرد ، تمرد موجه نحو الوالدين وتمرد آخر موجه نحـــو المسئولين في المدرسة وتمرد المراهق على السلطة العائلية والسلطة المدرسية يحدث بسبب القيود التي تفرضها المدرسة والأسرة والتي تحول بينه وبين تطلعه الى التحرر والاستقلال ولذلك نراه يعتبر كل شيء في المنزل أو المدرسة مصدر ضيق له ويثور على كـــل

ما يوجه اليه من نصح ويعتبر هذا النصح اعتراضا على حـرية واستقلاله ويميل دائما الى تحدى الآراء والأوضاع القائمة .

أحــلام اليقظــة :

ان أحلام اليقظة وسيلة من الوسائل المهمة التى يعبر بها المراهق عن ميوله ، ومن غير المألوف أن نجد فتى مراهقا (أو فتاة مراهقة) دون أن يكون له خبرة بهذا النوع من التفكير الذى يوجه ويسيطر على سلوكه ويسهل له الحياة .

ان أحلام اليقظة ظاهرة عقلية توجد فى جميع الأفراد ، الا أنها تكون واضحة فى مرحلة المراهقة ، كما أن الموضوعات التى تدور عليها هذه الأحلام فى هذه المرحلة تختلف عنها فى المراحل السابقة أو اللاحقة لها .

ويجب أن نشير الى أن أحــلام اليقظــة فى دور المراهقة لا تعتبر ظاهرة مرضية انما ينظر اليها على كونها طبيعية ، أو خاصية من خصائص النمو العقلى فى هذا الدور .

وقد قسمت أحلام اليقظة عنـــد المراهقين والمراهقات الى طــائفتين :

أحلام يقظة تدل على الشعور بالعظمة والقوة والســيادة، وأحلام يقظة تعبر عن الشــعور بالنقص .

ويعتبر النوع الأول من أحلام اليقظة وسيلة للتنفيس عن آمال المراهق ومشروعاته المستقبلة وخاصة ما يتصل منها بغرامياته ، ويعينه خياله عونا كبيرا على تنمية هذا النوع من الأحلام ، فقد يتخيل المراهق نفسه فى بعض الأحيان بطلا قوى الجسم ، مفتول العضلات رأى فتاة حسناء تغرق وحولها جمع غفير من القوم يترددون فى انقاذها فتأخذه الحمية ، فيقفز الى الماء معرضا نفسه لأشد الأهوال وأخطرها ، ويخرج من الماء حاملا الفتاة بين ذراعيه القويتين ، ان هذا النوع من التخيل فيه شىء من التعويض عما يشعر به المراهق من عجز وقصور فى امكانياته.

وأما النوع الثانى من أحلام اليقظة فهو نوع من الماسوشية (١) تلجأ اليه الفتيات المراهقات عادة فى حالات القنوط واليأس الشديد اذ يدفعها هذا الشعور باليأس الى تخيل نفسها فى مواقف تسبب لها الآلام والتعذيب وهى تجد فى هذا النوع من التعذيب لونا من الراحة النفسية ، شأنها فى ذلك شأن من يبكى عند مشاهدة مسرحية حزينة الا أنه يجد فى هذا البكاء راحة للنفس فالدموع فى أمثال هذه الحالات تهدىء الأعصاب.

والواقع أن أحلام اليقظة سلاح ذو حدين ، فكما أنها تثير من همة المراهق وتدفعه الى العمل لتحقيق ما يفكر فيه

---

(١) الماسوشية هى حب التألم .

فى عالم الخيال ، وتكون وسيلة لتوجيه الناحية الابتكارية وتنميتها ، الا أنها فى الوقت ذاته تعتبر مضيعة لوقت المراهق على حساب اهماله لنواح كثيرة من النشاط الذى يستطيع أن يقوم به لتنمية ميوله المتعددة ، وبالاضافة الى كل ذلك فان بعض المراهقين يجدون اشباعا لحاجاتهم فى خيالهم ، ومن ثم لا يبذلون الا جهدا بسيطا محدودا لتحقيق نجاح واقعى فى حياتهم العادية وأخيرا يجد المراهق أن ما يمر بخاطره من خبرات عن طريق أحلام اليقظة يبدو أكثر تشويقا من الخبرات التى يمارسها فى حياته الواقعية ، ومن ثم فهو لا يميل الى الأخيرة ولا يحب أن يبذل جهدا حقيقيا لتحقيق ميوله بشكل علمى ، ولذلك نجده يركن الى أحلام يقظته ليشبع تلك الميول والرغبات عن طريق الخيال .

الفصل الثاني

الصحة النفسية للمراهق

عرفنا من الفصل السابق أن مشكلات المراهق الانفعالية ترجع أساسا الى عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التى يعيش فيها ، ولذلك يصبح من الضرورى للمربى أن يكون عارفا بسيكولوجية التوافق أو التكيف فى اطار علم الصحة النفسية.

ويعرف علم الصحة النفسية بأنه « علم التكيف أو التوافق النفسى الذى يهدف الى تماسك الشخصية ووحدتها ، وتقبل الفرد لذاته ، وتقبل الآخرين له ، بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحة النفسية » .

ويرتبط مفهوم الصحة النفسية — كما يفهم من هذا التعريف — بقدر الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه، وهذا يؤدى به الى التمتع بحياة خالية من التأزم والاضطراب مليئة بالحماس والايجابية، ويعنى هذا أن يرضى الفرد عن نفسه أن يتقبل ذاته كما يتقبل الآخرين ، فلا يبدو منه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعى ، كما لا يسلك سلوكا اجتماعيا شاذا

بل يسلك سلوكا معقولا يدل على اتزانه الانفعالى والعاطفى والعقلى ، فى ظل مختلف المجالات ، تحت تأثير جميع الظروف.

والشخص الذى هذا نمطه يعتبر فى نظر الصحة النفسية « شخصا سويا » ، لأنه يتميز بالقدرة على السيطرة على العوامل التى تؤدى الى الاحباط أو اليأس ، بل انه ليستطيع أيضا أن يسيطر على عوامل الهزيمة المؤقتة دون اللجوء الى ما يعوض هذا الضعف أو عدم النضج ، انه يستطيع أن يصمد للصراع العنيف ومشكلات الحياة اليومية ولا يصيبه الا القليل من الهزيمة والفشل مستعينا ببصيرته وقدرته على التحكم الذاتى .

ان هذا الشخص وأمثاله أسوياء — لا محالة — لأنهم يتمتعون بقدر كاف من الصحة النفسية ، حيث يمكنهم أن يعيشوا فى وفاق وسلام مع أنفسهم من جهة ، ومع غيرهم فى محيط الأسرة أو المدرسة أو العمل أو المجتمع الخارجى من جهة أخرى.

معنى التكيف :

والتكيف فى علم النفس هو « تلك العملية الديناميكية المستمرة التى يهدف بها الشخص الى أن يغير سلوكه ، ليحدث علاقة أكثر توافقا بينه وبين البيئة » .

والبيئة هنا تشمل كل المؤثرات والامكانات والقوى المحيطة

بالفرد ، والتى يمكنها أن تؤثر على جهـــوده للحصـــول على الاستقرار النفسى والبدنى فى معيشته ولهذه البيئة ثلاثة أوجه: البيئة الطبيعية ، والبيئة الاجتماعية ، ثم المرء نفسه .

والبيئة الطبيعية عبارة عن العالم الخارجى وكل ما يحيط بالفرد من أشياء حيوية وطبيعية ، كالملبس والسكن والطعام .. الخ .

أما البيئة الاجتماعية والثقافية فهى عبارة عن المجتمع الذى يعيش فيه الانسان بأفراده وعاداته والقوانين التى تنظم الأفـــراد وعـــلاقاتهم بعضـــهم ببعض .

أما الوجه الثالث للبيئة فهو النفس ، والتى يجب على الفرد أن يكون قادرا على أن يتعامل معها وأن يتعلم : كيف يسوسها، ويسيطر عليها ، ويتحكم فى مشتهياتها ومطالبها ، اذا ما كانت هذه المطالب والمشتهيات غير منطقية أو رزينة .

ابعـــاد التـــكيف :

وللتكيف بعـــدان : شخصى واجتماعى نوضحهما فيما يلى:

أ ـ التكيف الشخصى :

وهو أن يكون الفرد راضيا عن نفسه ، غير كاره لها أو نافر منها أو ساخط عليها أو غير واثق فيها . كما تتسم حيـــاته

النفسية بالخلو من التوترات والصراعات النفسية التى تقترن بمشاعر الذنب والقلق والضيق والنقص والرثاء للذات • ومن المكونات الرئيسية لهذا البعد من التكيف اشباع الفرد لدوافعه وحاجاته المختلفة بصورة ترضى الفرد والمجتمع فى آن واحد ، أو على الأقل بصورة لا تضر بالغير ولا تتنافر مع معايير المجتمع • واذا ذكرنا الدوافع فيجب ألا ننسى (الضمير) ، وهو تلك السلطة الداخلية التى تراقبنا وتوجهنا وتنقدنا وتعاقبنا فى آن واحد •

ان غير المتكيف مع نفسه شخص يعانى حربا تدور رحاها بين جوانب نفسه وهى حرب تستنفد قدرا من طاقته كان يجدر أن يستغل فى مواجهة تكاليف الحياة وشدائدها • لذلك تراه قليل الحيوية ، سريع التعب ، عاجزا عن المثابرة والانتاج وبذل الجهد ، فقد استنفدت الصراعات النفسية قواه • كما تراه عاجزا عن الثبات والصمود حيال الشدائد والأزمات ، لا يلبث أن يختل ميزانه ويشوه ادراكه وتفكيره اذا ارتطم بمشكلة •

٢ ـ التكيف الاجتماعى :

هو قدرة الفرد على أن يعقد صلات اجتماعية راضية مرضية مع من يعاشرونه أو يعملون معه من الناس ، صلات لا يغشاها الاحتكاك والتشكى والشعور بالاضطهاد ، ودون أن يشعر الفرد بحاجة ملحة الى السيطرة أو العدوان على من يقترب منه ، أو

برغبة ملحة فى الاستماع الى اطرائهم له ، أو فى استدرار عطفهم عليه ، أو طلب المعونة منهم •

والمتكيف مع المجتمع أقدر على ضبط نفسه فى المواقف التى تثير الانفعال فلا يثور ويتهور لأسباب تافهة أو صبيانية ، ولا يعبر عن انفعالاته بصورة طفلية فجة ، هذا الى قدرته على معاملة الناس بصورة واقعية لا تتأثر بما تصوره له أفكاره وأوهامه عنهم ، لذلك يوصف المتكيف مع المجتمع بأنه (ناضج انفعاليا) •

العوامل الأساسية فى احداث التكيف :

هناك عدة عوامل لها أكبر الأثر فى احداث التكيف الشخصى والاجتماعى لدى الأفراد من أهمها :

، اشباع الحاجات الأولية والحاجات الشخصية (١) :

فاذا لم تشبع حاجات الفرد ، عضوية كانت أم نفسية، فانها تخلق لديه توترا يدفعه الى محاولة اشباع هذه الحاجة ، وكلما طالت مدة حرمان الفرد ، زاد التوتر شدة ، وينتهى الموقف عادة اذا ما استطاع المرء اشباع هذه الحاجة • أما اذا لم تسمح

---

(١) الحاجات الأولية كالحاجة الى الطعام والشراب ؛ والحاجات الشخصية كالحاجة الى الحب والى الانتماء والى التملك والى الاستقلال •

الظروف البيئية والاجتماعية باشباع هـــذه الحاجة ، وكانت الحواجز التى تقف بين المرء وبين اشباع حاجاته قوية مانعة ، فانه يحاول أن يجد أية وسيلة يشبع بها حاجاته ، وقد تكون هـــذه الوسيلة غير سوية ، لا يقرها المجتمع ، ومن هنا ينحرف الفـــرد أو يجنح فتختل بذلك عملية التوافق .

فالشخص الجائع قد يلجأ فى بعض الظروف القاسية الى السرقة لاشباع الحاجة الى الطعام ، والشخص الذى لا يتمتع بدرجة مناسبة من التقدير الاجتماعى قد يلجأ الى العـــدوان ، والطفل الذى يحس أنه منبوذ من أسرته فانه بسبب عدم اشباع الحاجة الى الانتماء ، قد يلجأ الى الانطواء .

فالسرقة فى الحالة الأولى ، والعدوان والانطواء فى الحالتين الثانية والثالثة تعتبر أساليب مختلفة لعدم التكيف بين الشخص وبيئته ، نتجت عن عدم اشباع حاجة من حاجاته بطريقة طبيعية.

ان الأساس في التكيف يقوم على أمرين :

الأمر الأول : أن يكون الشخص قادرا على توجيه حياته توجيها ناجحا ، بحيث تشبع حاجاته المختلفة .

الأمر الثانى :أن يشبع الشخص حاجاته بطريقة لا تعـــوق اشباع الحاجات المشروعة للآخرين ، فالشخص المحروم من الطعام

الذى أشرنا اليه قد أشبع حاجته ولكن بطريقة تضر الآخرين ، ولا تتفق والمسئولية الاجتماعية وهى السرقة .

(ب) أن تتوفر لدى الفرد العادات والمهارات التى تيسر له اشباع حاجاته الملحة :

ولا شك أن هذه المهارات والعادات انما تتكون فى المراحل المبكرة من حياة الفرد ، ولذلك كان التكيف فى الواقع محصلة لما مر به الفرد من خبرات وتجارب ، أثرت فى تعلمه للطرق المختلفة التى يشبع بها حاجاته ويتعامل بها مع غيره من الناس ، فى مجال الحياة الاجتماعية .

ان هذا ــ دون شك ــ يؤكد أهمية السنوات الخمس الأولى فى حياة الطفل وتكوين شخصيته ، ففى هذه السنوات ــ كما أكد (فرويد) ــ تتكون المعالم الأولى لشخصية الطفل ، وفيها تنمو لديه بذور التوافق أو عدمه . ويشبه علماء مدرسة التحليل النفسى هذه السنوات الأولى من حياة الفرد بأنها (مشتل الشخصية) ، حيث يربى الفرد فى جو اجتماعى يتوافر فيه الحنان والدفء العاطفى والشعور بالأمن من جانب الوالدين ... ولا شك أن توافر الظروف الملائمة كى يمر الطفل بعملية التنشئة الاجتماعية السليمة من شأنه أن يتيح له نمو الشخصية ، وبذلك يستطيع أن ينتقل من هذا المشتل ــ ونقصد به الأسرة ــ الى

الحديقة الكبرى ـ ونقصد بها المجتمع ـ وهو مزود بالعادات والمهارات والوسائل التى تساعده على أن يضطلع بدور اجتماعى بناء وأن يكون عضوا متفاعلا متجاوبا مع الجماعة التى يعيش فيها ...

والواقع أن كل انسان فى كبره يحمل فى طيات نفسه رواسب الطفولة ، وغالبا ما تكون هذه الرواسب قوية جدا وراسخة فى الأعماق . ان الخبرة فى الطفولة تحدد بدرجة واضحة وسيلة الرضا النفسى والتوافق فى الحياة المتأخرة ، وهذا يوضح بجلاء العلاقة الوثيقة بين التكيف وعملية النمو .

(جـ) أن يعرف الانسان نفسه :

أى أن يعرف امكانياته وقدراته ، ذلك انه اذا ما عرف هذه الامكانات والقدرات فانه لا يرغب فى شىء لا تسمح هذه القدرات والامكانات بتحقيقه . أما اذا كان جاهلا بهذه القدرات والامكانات فان رغباته قد تأتى بحيث تعجز هذه الامكانات عن تحقيقها ، وعندئذ يكون ما يترتب على عدم تحقيق هذه الرغبات من احباط ، عاملا من عوامل اختلال التوافق .

(د) ان يتقبل الانسان نفسه :

ان فكرة الانسان عن نفسه من أهم العوامل التى تؤثر فى سلوكه ، فاذا كانت هذه الفكرة حسنة وتتسم بالرضا ، فان

ذلك يدفعه الى العمل والتوافق مع أفراد المجتمع ، كما أن ذلك يدفعه الى النجاح حسب قدراته دون أن يحاول العمل فى مجالات لا تسمح له قدراته بالنجاح فيها • أما الفرد الذى لا يتقبل نفسه فانه يتعرض للمواقف الاحباطية التى تجعله يشعر بالعجز والفشل، وهنا تصبح درجة التكيف الاجتماعى سيئة ، وهذا يدفعه الى الانطواء أو العدوان ، ليجذب انظار الآخرين ويمحو من أذهانهم ما يرى انهم يعتقـدونه عنه •

(هـ) المرونة :

ونقصد بها هنا أن يستجيب الفـرد للمؤثرات الجـديدة استجابات ملائمة ، فالشخص الجامد غير المرن لا يتقبل أى تغيير يطرأ على حياته ، ومن ثم فان توافقه يختل وعلاقته بالآخـرين تضطرب اذا ما انتقل الى بيئة جـديدة ، يغاير أسـلوب الحياة فيها ، الأسلوب الذى مارسه وتعود عليه • أما الشخص المـرن فانه يستجيب للبيئة الجديدة استجابات ملائمة تحقق التكيف بينه وبين هذه البيئة •

ومعنى ذلك أن توافق الفرد يكون أسـهل ، كلما كان الشخص مرنا ، والعكس صحيح ، فكلما قلت مرونة الشخص قلت قدرته على التكيف فى محيط ظروفه وبيئته الجديدة •

وهناك نوعان من المرونة : المرونة القوية التى يتكيف فيها

الشخص مع البيئة الجديدة دون أن يغير من طبيعته وشخصيته الأصلية . وهناك المرونة الضعيفة التي يتقبل الشخص فيها قيم البيئة الجديدة ومثلها ، تقبلا يؤدى به الى أن ينكر شخصيته الأصلية . وتكون نتيجة ذلك عدم توافق الفرد اذا ما ترك هذه البيئة الجديدة وعاد الى بيئته القديمة . مثل هذه المرونة لا تحقق التكيف ، بل تؤدى على العكس من ذلك الى اختلاله .

ولنأخذ مثالا لذلك حالة الطلبة الذين يرسلون الى بعثات دراسية فى الخارج حيث نجد أن بعض هؤلاء الطلاب اذا ما حلوا فى هذه البيئات الجديدة ، فانهم ينساقون الى تقليد كل ما فيها من مثل وعادات وقيم ، ولا يمضى زمن يسير حتى يكون هؤلاء الطلاب قد نسوا شخصيتهم الأصلية ، فاذا عادوا الى وطنهم سلكوا سلوكا غريبا ، مما يؤدى الى تعرضهم للنقد الذى يكون سببا مباشرا فى شعورهم بالغربة ، وهى مظهر من مظاهر عدم التكيف . مثل هؤلاء الطلبة لديهم مرونة ، ولكنها مرونة ضعيفة ، سلبية ، تتأثر فقط دون أن تقوم بدور ايجابى .

أما البعض الآخر ، فانه اذا حل فى البيئة الجديدة نجده يتكيف معها ولكنه مع ذلك لا يتخلى عن شخصيته الأصلية ، فاذا ما عاد الى وطنه فانه لا يتغير ، ولا يتعرض لمثل ما تعرض له النوع الأول من النقد وعدم التوافق ، مثل هذا النوع من الطلبة لديه مرونة قوية لأنه لا يقف من البيئة الجديدة موقفا جامدا ،

وانما يعدل من سلوكه ويتكيف مع ظروف هذه البيئة ، دون أن يغير من شخصيته الأساسية •

سوء التكيف

اذا تمكن الانسان أن يعيش حياة سعيدة ناجحة قيل انه (حسن التكيف) فان عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود للتكيف قيل انه (سيء التكيف) أو انه يعانى اضطرابا فى شخصيته •

والمعروف أن حياة الانسان لا تخلو من صعوبات وعقبات، مادية ومعنوية ، خارجية وداخلية ، تعترض ارضاء دوافعه وتحول دون تحقيق أهدافه • والطريق الطبيعي لازالة هذه العقبات أو التغلب عليها أن يبذل كل ما فى وسعه من جهد وتفكيروتكرار المحاولات فاذا استحال الحل فانه يواجه أزمة نفسية أو يعتبر فى حالة سوء تكيف ، وهنا يختلف سلوك الناس بعضهم عن بعض :

(أ) فمنهم من يمضى فى التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق حتى ان كان فى حالة من التوتر الشديد •

(ب) ومنهم من يسارع الى الاستسلام والقاء السلاح على الفور•

(جـ) ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر ، فاذا به قد أصبح نهبا للغضب أو الذعر أو الخجل

أو الرثاء للذات ، وقد احتوته مشاعر أليمة بالنقص والقلق والعجز والخيبة والذنب الى غير تلك المشاعر البغيضة التي تنجم عن الفشل والاخفاق . وبدلا من أن يتجه بجهوده الى حل المشكلة اذا به يلجأ الى طرق وأساليب معوجة أو ملتوية أو متطرفة تنقذه مما يكابده من تأزم نفسي وهي أساليب لا تدنيه من هدفه بل تنأى به عنه ، أي أنها لا تحقق التكيف بينه وبين بيئته أو بينه وبين نفسه .

ويأخذ سوء التكيف صورا شتى ودرجات تتفاوت شدة وعنفا وازمانا واستعصاء على الشفاء فمنها ما يعطل صاحبه عن العمل ، ويجعله غريبا عن نفسه وعن الناس خطرا على نفسه وعلى الناس . ومنها ما لا يباعد بين الفرد والواقع بدرجة تقصيه عن العمل والنشاط الاجتماعي ، بل يبدو في صورة انحرافات خفيفة أو نوع من السلوك الشاذ . ومنها ما يسبب لصاحبه كثيرا من الألم والعذاب، فترى الفرد يتخطفه الخوف ، الخوف من كل شيء ومن لا شيء، ويستبد به الجزع ، وتحاصره الوساوس والشكوك والأفكار السود .. ويأتيه الفزع والاضطراب من كل مكان .. لا يطرب لشيء ، يشكو من غير شيء ولا يجد للحياة طعما بل يجدها عبئا ثقيلا وحملا بغيضا .

وفي اطار هذه الاضطرابات المختلفة في الشدة والنوع

تندرج الأمراض العقلية (الجنـــون) والأمراض النفسية (العصاب) والأمراض السيكوسوماتية (الجسمية النفسية المنشأ) والاجرام العصابى ، والانحـــرافات الجنسيـــة، ومشكلات الأطفال السلوكية، ومشكلات الشباب النفسية .

اسباب سوء التكيف :

ان لم يكن لسوء التكيف أساس عضوى أو فسيولوجى كتلف فى النسيج العصبى ، أو اضطراب هرمونى ، أو تـــلوث ميكروبى ، أو تسمم من أملاح بعض المعادن ، كما يحدث أحيانا فى بعض الصناعات .. ان لم يكن هذا ، كانت العوامل النفســية الاجتماعية هى العوامل الجوهرية الغالبة فى أحداث الاضطرابات، وسمى الاضطراب وظيفيا كما هو الحال فى الأمراض النفسية ، وطائفة من الأمراض العقليـــة ، والأمراض الســـــيكوسوماتية والانحرافات السلوكية ، والاجرام ، كما يعتبر هذا الاضطراب نفسى المنشأ .

هذه الاضطرابات الوظيفية ، خاصة النوع العنيف منها ، يندر أن تكون نتيجة عامل واحد كما يظن الناس فى العـــادة، اذ يرون أنها ترجع الى الوراثة أو الى الصدمات العنيفة التى تصيب الانسان فى حياته ـــ فالحياة النفسية ليست من البساطة حتى يكون اعتلالها رهنا بحادثة واحدة أو صدمة واحدة بل لابد

من عدة عوامل تختلف فى نوعها وأهميتها وترتيبها الزمنى حتى يسوء التكيف وتضطرب الشخصية .

(أ) فهناك العوامل المهئة :

أى العوامل التى ترشح الفرد للاضطراب وتكون بمثابة تربة صالحة له . من هذه العوامل الوراثة والتربية غير الصالحة فى عهد الطفولة المبكرة .

(ب) وهناك العوامل المعززة :

التى تتوسط الطفولة وعهد الكبر مثل «مرحلة المراهقة»، فتخلق فى نفس الفرد أزمات تدعم أزمات الطفولة ، فتزيد من حساسية الفرد وتضعف من مقاومته . من هذه العوامل عدم رضاء الفرد عن عمله أو خوفه الموصول من فقدان مركزه، أو صبره على الظلم والاضطهاد مدة طويلة ، ومنها الخلافات والمتاعب العائلية ، والارهاق الجسمى الموصول ، وبعد الشقة بين مستوى طموح الفرد ومستوى قدراته ، أى بين ما يريده وما يقدر عليه .. وقد تكون هذه العوامل المعززة ذات أثر عميق فى بعض الشخصيات فتكفى لاندلاع الاضطراب ، وتكون بمثابة العوامل المباشرة فى ظهوره .

(جـ) اما العوامل المباشرة أو المعجلة :

فهى العوامل التى يعقبها الانهيار مباشرة . وقد تكون هذه العوامل جسمية كالاجهاد أو الضعف أو المرض الجسمى . وهذا ما يلاحظ عند بعض الطلبة قبيل الامتحان . وقد تكون العوامل المباشرة صدمات نفسية كخسارة مالية فادحة ، أو موت عزيز ، أو فشل فى حب أو فضيحة اجتماعية ، أو طرد العامل من عمله، أو تغيرات سريعة عنيفة فى حياة الفرد كتلك التى تطرأ على حياة من يهجرون الريف الى الحضر أو الحياة الزراعية الى الحيــاة الصناعية أو التى تبدو على طلبة البعثات حين ينتقلون من حضارة الى حضارة أخرى مغايرة لها .

وبمعنى آخر نستطيع أن نقرر أن العوامل المختلفة التى تؤدى الى سوء التكيف بمختلف أنواعه يمكن أن ترد جميعها آخر الأمر الى وجود عقبات وعوائق مادية أو جسمية أو نفســية أو اجتماعية ــ تحول دون ارضاء الدوافع الأساسية للفرد وبلوغ أهدافه ، عقبات ينجم عنها صراع بين الفرد ونفسه وليس الصراع الا حالة نفسية أليمة تنجم عن احباط الدوافع والحيلولة دون اشباعها فان تراكمت هذه الصراعات والتوترات لدى الفرد ، قيل انه يعانى (أزمة نفسية) و (سوء تكيف) وليست الضروب المختلفة لسوء التكيف الا طرقا شاذة غير واقعية للتخفف من هذه الأزمات والاضطرابات .

وقد دلت بعض البحوث على ان المواقف الآتية مصادر هامة للتأزم النفسي وسوء التكيف لدى اغلب الناس :

(أ) المواقف أو الأعمال التى تثير وخز الضمير •

(ب) كل ما يمس كرامة الفرد واحترامه لنفسه ، وكل ما يحول بينه وبين تأكيد ذاته •

(جـ) حين تثبت له الظروف أنه ليس من الأهمية أو من القوة بقدر ما كان يظن •

(د) حين يستبد به الخوف من فقدان مركزه الاجتماعى أو حين يتوهم ذلك أو حين يفقده بالفعل •

(هـ) حين يشعر بالعجز وقلة الحيلة ازاء عادة سيئة يريد الاقلاع عنها •

(و) حين يبتلى برئيس مستبد •

(ز) حين يعاقب عقابا لا يستحقه •

(ح) حين يمنع من تحقيق ما يريد منعا تعسفيا •

(ط) حين يشعر ببعد الشقة بين مستوى طموحه ومستوى اقتداره •

(ى) حين يشعر ببعد الشقة بين ما يملك وما يراه حقا له •

(ك) حين يرى الغير يكافئون دون استحقاق •

ويلجأ الفرد أول الأمر عادة الى التخفف من أزمته النفسية بأساليب واقعية ناجحة أو بأساليب فاشلة غير بناءة مثل :العدوان، والنكوص ، والجمود ، والاستسلام وأحلام اليقظة وغيرها • فان لم يوفق الى حل أزمته بهذه الطرق ، فقد يصاب بمرض نفسي أو سيكوسوماتي أو غيرها من الاضطرابات الخطيرة •

سمات الأشخاص سيئي التكيف :

(أ) ان الشخص الذى يسوء تكيفه لا يجد للحيــاة طعما وهو لا يعيش حياته بل يكابدها وذلك لأسباب عدة منها : كثرة ما يعانيه من توترات موصولة وصراعات نفسية غير محسومة وما تنطوى عليه هذه الصراعات من مشاعر القلق والذنب والنقص والسخط والرثاء للذات •

(ب) وهو غير ناضج من الناحية الانفعالية ، فهو أنانى غيور غضوب كالطفل ، له قسوة الطفل وأنانيته وحبه من النوع الذى يأخذ ولا يعطى •

(جـ) وهو شخص جعلته خبرات طفولته شديد الحساسية لمواقف معينة ، مواقف النقد والتنافس والمواقف التى تشتم منها رائحة الاذلال أو الكراهية أو النبذ أو الذنب فاذا به يستجيب لهذه المواقف استجابات مشتطة أو شاذة ، انه

يحس وخزة الابر طعنة خنجر ، ويرى الحبة يحسبها قبة ، ويسمع الهمسة صيحة • مثل هذه الحساسية النفسية الزائدة ، كمثل الحساسية الجسمية الزائدة التى تبدو مثلا لدى المدخن المفرط حين لا يعود يطيق رائحة الدخان •

(د) ومن سماته انه يطرح انفعالاته واتجاهاته النفسية اللاشعورية من حب وكره وغيرها على أشخاص لا صلة لهم أصلا بهذه الانفعالات والاتجاهات • فالطالب العصابى يفرغ كراهيته لأبيه على مدرسه • وكذلك حال العامل نحو رئيسه ، والزوج العصابى نحو زوجته •

(هـ) انه يجد عسرا فى انتشال نفسه من المواقف الصعبة التى تعرض له ، وغالبا ما لا تتمشى الحلول التى يصل اليها مع الواقع ، أو لا ترضى عنها الجماعة التى يعمل معها •

(و) يجد الناس صعوبة فى التعامل معه وفى التفاهم معه ، كما انه كثيرا ما يرتاب فى سلوكهم ومقاصدهم ، فيؤول كل حركة تصدر منهم على أنها موجهة ضده • وأغلب الأمر أنه لا يطيق أى نوع من أنواع السلطة ، ومن ثم يشق عليه مجاراة رئيسه والانسجام معه ولذا فهو لا يحسن العمل الجماعى ، ولا يرحب به بقدر ما يؤثر العمل الفردى، فهو يرى الأمن والسلامة فى ابتعاده عن الناس ، لأن المواقف الاجتماعية أشد ما يثير قلقه • ومن هنا نرى أن

العمل الجماعى المنتج علامة على الصحة النفسية لأفراد الجماعة •

(ز) وهو شخص يسوء عمله وانتاجه وتزداد حالته اضطرابا اذا أرغم على الاسراع والتعجل فى عمله بتأثير بواعث مالية أو ضروب أخرى من الاغراء وقد يمضى فى عمله طمعا أو خوفا لكنه لا يلبث أن ينهـار بعد وقت طويل أو قصير •

(ح) كما أنه يفدحه التعب بعد المجهود القليل والواقع أنه يكون فى حالة من الارهاق المزمن من فرط ما يستنفد الكبت والصراعات النفسية من طاقته وحيويته •

(ط) ثم ان الاضطراب الانفعالى الذى يعانيه لا بد أن ينعكس على حالته الجسمية فنراه يشكو من الأرق أو فقد الشهية للطعام أو خفقان القلب أو ضيق التنفس أو سوء الصحة الجسمية بوجه عام •

الفصل الثالث

منهج الإسلام لتربية المراهق في البيت

أجمعت الدراســات النفسية والتربوية على أهمية البيت والأسرة فى تكوين شخصية الانسان وفى تشكيل سلوكه فى الحياة يافعا وراشدا وكبيرا ، ومن هنا يجىء الاهتمام بالروح الدينى الذى يجب أن يسود البيت ممثلا فى صلاح الوالدين والكبار من الأسرة ، وقيامهم بفرائض الدين ، وبعدهم عن المنكرات والآثام والتزامهم حدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادىء الدين فى القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والايمان فى نفوسهم •

ومن الثابت عمليا أن الطفل الذى ينشأ فى بيت كهذا البيت، يبدأ حياته محصنا من كثــير من الأمراض السلوكية والفــكرية ويتميز فى مرحلة المراهقــة والشــباب بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة وعلى هذا المعنى اتفقت الدراسات الاسلامية والتربوية والأخلاقية ، وممن نبه اليه من

علماء المسلمين وجعله ركنا فى بناء منهجه التربوى الامام الغزالى فى مختلف كتبه وبخاصة « احياء علوم الدين » اذ عقد بابا لرياضة الصبيان فى أول نشوئهم قرر فيه : أن الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ... وهو قابل لكل ما ينقش ، ومائل الى كل ما يحال به اليه ، فان عوده الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ... واذا بلغ سن التمييز فينبغى ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان . فاذا وقع نشوءه كذلك فى الصبا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ، يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » وتضييعه يكون بالاهمال فى تربيته تربية دينية سليمة أو بعدم الانفاق عليه .

ومدح الله اسماعيل عليه السلام بأنه كما يقول « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » كما مدح من قال « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك انى من المسلمين » فقال تعالى : «أولئك الذين نتقبل عنهم

أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » .

والواقع أن عناية الاسلام بتوفير هذا المناخ الصالح للتربية تبدأ مبكرا جدا اذ تعود الى بناء الأسرة أصلا باعتبارها الأساس الذى لا يصلح البنيان بدونه ، فأحاطها بضمانات قوية منذ بدء نشأتها حتى يضمن ايجاد الأسرة الاسلامية القوية المتحابة المتضامنة السعيدة ، ويضمن بالتالى وجود المجتمع الاسلامى القوى السعيد .

والأسرة تبدأ من شخصين زوج وزوجة .. وهما الحجر الأساسى فى بنائها ، أو هما التربة التى تنشأ فيها شجرة الأسرة، وتنمو وتثمر ، وعلى قدر صلاحيتها وسلامتها ، يكون النبات الذى ينبت فيها وتكون الثمرة .

« والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا (١) » .

ومن أجل هذا يوجه الاسلام عناية خاصة لايجاد هذا الأساس وتوفير هذه التربة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم:
« تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا اليهم » .

ويرشدنا الى ما نختاره ، ويؤثر لنا أن نختار الزوجة، ذات

---

(١) سورة الاعراف : ٥٨ .

الخلق والدين ، فيقول « فاظفر بذات الدين (١) » كما يحذرنا من الانخداع بجمال المرأة التى نشأت فى بيئة فاسدة لما قد يحمل هذا الزواج من خطر على الحياة الزوجية أو على الأبناء فيقول : « اياكم وخضراء الدمن » قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ـ قال: « المرأة الحسناء فى المنبت السوء» ، ومن الطبيعى أن ما يصدق على المرأة فى هذا الصدد يصدق على الرجل . لذلك يوجه الاسلام والد الفتاة أو ولى أمرها أن يختار لها رجلا صاحب دين وخلق ، وينذر كل جماعة تهدر ناحية الدين والخلق حال اختيار الزوج وتؤثر عليها ناحية المال أو النسب فيقول :

« اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير (٢) » .

وضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصحابته والتابعون رضوان الله عليهم أمثلة حية فى هذه الناحية ، حين كانوا يفضلون المولى صاحب الدين والخلق والسبق فى الاسلام، على القرشى الغنى ، وقد علمنا من التاريخ أن سعيد بن المسيب رضى الله عنه آثر لابنته تلميذا له فقيرا على خليفة من خلفاء المسلمين ، لأنه رأى ان ـ تلميذه أسلم دينا وأقوى خلقا .

---

(١) اخرجه ابن ماجه فى السنن والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن وقال عنه صحيح الاسناد .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وابو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريره ورمز له السيوطى بالصحة .

وقد بلغ من حرص الاسلام على البناء السعيد للأسرة أننا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يصدر كثيرا من الوصايا والتوجيهات للراغبين فى الزواج تضمن لهم بناء البيت السعيد فمنها قوله : « ما استفاد مؤمن بعد تقوى الله عز وجل خير له من زوجة صالحة ، ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

ولم يقف الاسلام عند هذا الحد الأول فى تكوين الأسرة، بل واصــل رعايته لها فأوصى كلا من الزوج والزوجة بحسن المعاشرة ، أوصى الزوج بأن يرفق بزوجته ، ويلين لها جانبه فان المرأة : « خلقت من ضــلع أعوج فاذا ذهبت تقيمه كسرته ، فاستوصوا بالنساء خيرا » ، كما أوصى الزوجة أن تكون سندا لزوجها وراعية أمينة على بيته حافظة لشرفه وكرامته ..

ثم لم يهمل الاسلام علاج المشاكل التى قد تنشأ بين الأسرة، بل وضع لكل مشكلة علاجها ، وهدفه من ذلك توفير الجو الصالح ، لتسير الأسرة فى حياتها هانئة وادعة وينشأ الأولاد نشأة كريمة صالحة ..

وحين يميز الأولاد ويشبون يوجههم الاســلام الى طاعة الوالدين ، والاستماع لتوجيهاتهما لما فيها من خير لهم ، واحسان معاملتهما ، والبر بهما ، تقديرا لجهودهما ولما تحملاه من متاعب،

ومصاعب وآلام ، فى سبيل تربيتهم ، وجعل الاساءة اليهما من أكبر الذنوب التى يجنى الابن عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة .

قال تعالى : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، أما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، الا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » . متفق عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضا : « كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها الا عقوق الوالدين ، فان الله يعجل لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات » .

وأوصى الرسول كذلك أن يحسن الأخ معاملة أخيه وأخته، وكل الذين يعيشون حوله فى محيط الأسرة ، مراعاة لحقوق القرابة ، وتدعيما للروابط بين الأسرة .. فقد روى أبو داود انه قيل : يا رسول الله من أبر ؟ قال : « أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى يلى ذلك، هو واجب ورحم موصولة» (١).

---

(١) البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

ولم يعمل الاسلام على توسيع دائرة الميراث في الأسرة عما كان عليه العمل في الجاهلية ولا زال مثله في أوربا حتى الآن الا كوسيلة من وسائل تدعيم الروابط بين أفراد الأسرة ، وشد أفرادها بعضهم الى بعض ، فنزل القرآن ينظم الميراث ويعين المستحقين له وأنصبتهم في التركة ، في آيات متعددة منه .

ثم لم يهمل مع ذلك بقية أفراد الأسرة ، الذين لم يجعل لهم نصيبا في الميراث ، بل أوصى ببرهم وأعطائهم شيئا من التركة ، استرضاء لنفوسهم ، واستدامة للروابط العائلية وتقويتها بينهم ، فقال تعالى :

« واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (١) » وبجوار ما قرره من المشاركة في الميراث ، أوجب أن يتضامن أفراد الأسرة ، ويحمل الغنى منهم الفقير ، ويعينه على أعباء معيشته ، كما أوجب على الوارثين ان يتحملوا مشتركين الديات ، التي تجب على واحد منهم لخطأ ارتكبه في قتل نفس ، حتى يكون مظهر التضامن تاما في الأسرة في حالتي الغنم والغرم .

واذا لاحظنا ان الاسلام حين يقرر ذلك ويوصي به ، لا يجعله مجرد علاقة مادية دنيوية بين القريب وقريبه ، بل يجعله من طاعة

---

(١) النساء : ٨

الانسان لخالقه ورازقه يثيبه عليه حتى اللقمة يضعها الانسان فى فم امرأته صدقة ، حتى حسن تربية الأولاد وكفالتهم ، وهو أمر غريزى طبيعى ، يثيبه الله عليه ، اذا لاحظنا ذلك كله عرفنا مدى عناية الاسلام بالأسرة وحرصه على سلامة كيانها وتوفير السعادة لها .

ولا تزال الأسرة الاسلامية بخير وهناءة بصلاتها ، ماحرصت على التوجيه الاسلامى لها ، وأخذت به فى حياتها ، فاننا نرى من مظاهر الحياة الأسرية فى الغرب ، وتفكك الروابط فيها ، وسيطرة الروح المادية على علاقة أفرادها بعضهم ببعض ، وهجوم هذه الروح المادية وزحفها على أسرنا فى الشرق ، ما يجعلنا نوصى المسلمين بالحرص على تنظيم الاسلام لشئون الأسرة ، والمحافظة على العلاقات الروحية ، التى أوجدها الاسلام بينها ، حتى نسعد بذلك فى دنيانا وآخرتنا .

كذلك يوجه الاسلام من يريد الزواج الى أن يتخير الزوجة الصالحة من الناحية الوراثية الجسمية ومن ناحية الصفات الوراثية النفسية ، فقد نصح الرسول عليه الصلاة والسلام بالابتعاد عن زواج القريبة الشديدة القرابة لما يتعرض له هذا الزواج غالبا من ظهور الصفات الوراثية السيئة فى الأبناء فقال: « اغتربوا لا تضووا » .

وفى ظل هذه الزيجة الصالحة والبيت الهانىء السعيد ينشأ

الأولاد ويشبون ومن الطبيعى أن يمد الاسلام رعايته لهذا البيت الجديد ، فينظم له أمر رضاعته ونفقته وحضانته ، وتعليمه وتربيته ، ويضع لذلك كله التشريعات الملزمة التى تكفل للأولاد أحسن النشأة حتى يكونوا أعضاء صالحين فى مجتمعهم • فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم» •

وقبل أن نفصل منهج الاسلام لتربية المراهق فى البيت نستعرض رأى علماء النفس والصحة النفسية حول التكيف النفسى للمراهق فى المنزل •

ان من أهم المشكلات التى يتعرض لها المراهق فى حياته اليومية والتى تحول بينه وبين التكيف السليم هى علاقته بالراشدين ، وعلى الأخص الآباء ، ومكافحته التدريجية للتحرر من سلطتهم ، من أجل أن يصل الى مستوى الكبار من حيث المركز والاستقلال وهو ما سبق أن أوضحناه عند الحديث عن علم نفس المراهقة ومشكلات المراهق الانفعالية •

والمنزل الصالح — فى نظر علماء النفس والصحة النفسية — هو الذى يتعرف على حاجة المراهق الى الاستقلال وصراعاته من أجل التحرر ، ثم يساعده ويشجعه بقدر الامكان ، ويتيح له الفرص والوسائل للاتجاه نحو مركز أكثر استقلالا ، كما يشجعه على تحمل المسئوليات واتخاذ القرارات والتخطيط للمستقبل • وهذا الفهم لمركز المراهق لا يتأتى دفعة واحدة ، ولكنه محصول

سنوات من الاستقلال التدريجي المتزايد وابراز الذات • والأسرة هى التى ترسم الخطط لمراهقها ليتعلم الاعتماد على النفس فى سن مبكرة ، وانها بذلك تعمل أحسن ما فى وسعها لتأكيد نضج الفرد • أن هذا النوع من التوجيه ، يجب ألا يكون أمرا عرضيا، ولكن يجب أن يأتى نتيجة لتفكير واع من الآباء • فالآباء يجب أن يسألوا أنفسهم على الدوام ، متى نستطيع أن نسمح لولدنا المراهق أن يفعل هذا أو ذاك وما هى الفرص التى نسمح له بها ليمارس استقلاله ويكتسب الخبرات التى تظهر نضجه وتبرز ذاته •

ان أحسن سياسة تتبع مع المراهق هى سياسة احترام رغبته فى التحرر والاستقلال دون اهمال رعايته وتوجيهه • ان مثل هذه السياسة ستؤدى ، من جهة ، الى خلق جو من الثقة بين الآباء وأبنائهم ، كما ستؤدى من جهة أخرى ، الى وضع خطة واضحة نحو تكيف سليم ، يساعد المراهق على النمو والنضج والاتزان •

اختلاف الأجواء المنزلية وأثر ذلك على المراهق :

ان مستوى المراهق من التكيف والنمو ، يتوقف لدرجة كبيرة على اتجاه الوالدين وعلى الجو السيكولوجي والاجتماعى السائد فى المنزل • وليست الأجواء المنزلية من نمط واحـد ، فهى تختلف من بيت لآخر ، فبعض البيوت تبدو على أنها أماكن طيبة لرعاية الأطفال ، بينما تبدو الأخرى على العكس منها •

وطالما أن للمنزل تأثيرا على سلوك الطفل ، فمن الضرورى لدارس المراهقة أن تكون لديه معلومات أكثر وأعمق عن أنماط المنازل، وتأثيرها على الأطفال الذين يوجدون بها . فمعرفة مقومات المنزل الطيب بالمقارنة بالمنزل الردىء ، والدور الذى يلعبه كل منهما فى تشكيل نمط المراهق السلوكى ، هى الخطوة الأولى نحو فهم هذا المراهق وتوجيهه توجيها يحقق له التكيف السليم .

وسنعرض فيما يلى نماذج مختلفة من هذه المنازل ، لنرى الى أى حد يؤثر اختلاف الجو السيكولوجى فى كل منها فى درجة تكيف الفرد :

(أ) المنزل النابذ :

أثبتت الدراسات المختلفة أن هناك من المنازل ما له طابع النبذ ، وهنا نسأل أنفسنا : من الذى يقوم بالنبذ فى المنزل ؟ هل هو الأب أو هو الأم ؟ أو هما معا ؟ وما الدور الذى يلعبه الأشقاء والشقيقات ان وجد ؟ هل يعيش الأقارب الكبار فى المنزل ؟ وان كان كذلك ، فما الدور الذى يلعبونه ؟ ما دور الضيف الطارىء أو صديق الأسرة ؟ ما مصادر الاطمئنان والحب التى يحصل عليها المراهق فى خارج المنزل ؟ كل هذه العوامل السابقة ، وغيرها كثيرة ، يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عندما نعالج موضوع المنزل النابذ . فمثلا ، من الممكن أن يكون هناك

أب ينبذ ، وأم تسرف في العطف في نفس المنزل . ومثل هـذا الارتباط يؤدى الى نظام غير مستقر وصراع أبوى ، والى القبول والنبذ في نفس الوقت . وهذه أمور بالطبع لا تساعد على النمو النفسي الهادى . ولا تساعد كذلك على التكيف السليم (١) .

ويصف « بولدوين » المنزل النابذ بأنه «منعدم التكيف» ويتصف بالصراع والمشاجرات والاسـتياء بين الأب وأبنائه ، والذى يفتقر بدرجة كبيرة الى العلاقات الاجتماعية الطيبة ، سواء بين أفراد العائلة والعالم الخارجى ، ويحس المراهق عن طـريق حياته فى مثل هذه العائلة ، بأن اهتماماته ورغباته تنكر ، أو تعتبر غير مهمة . وعندما يسعى لاثارة اهتمام والديه ، أو يجاهد ليؤكد لنفسه ، فانه يقابل بانكار جائر ، وربما يعاقب بدنيا . وفى كل هذا لا يحاول الأب أن يفهم ولده المراهق ، ولا يعطف عليه ، لأنه غير مرغوب فيه .

ونستطيع أن نقسم نبذ الآباء للأبناء قسـمين مختلفـين: فالنبذ يمكن أن يكون نبذا دائما منذ البداية ، حيث يشـعر الآباء فى أمثال هذه الحالات بعدم حبهم لأبنائهم . ويلاحـظ « بولدوين » فى وصفه لهذا الأب الذى ينبذ ابنه نبذا مستمرا، بأنه يحاول اخضاعه الى القواعد السلوكية الحديدية ، وهم لذلك كثيرا ما يتخذون مقاييس من القسوة والصرامة بلا سبب ظاهر،

---

(١) عن كتاب : سيكولوجية المراهقة تاليف جون هورروكس .

أكثر من الرغبة فى الحرمان أما الصنف الثانى من النبذ فيكون على شكل تجاهل لرغبات الأبناء • فهناك نوع من الآباء يهملون أبناءهم ولا يعملون معهم شيئا • وفى العادة يكون لدى المراهق فى مثل هذه العائلة قدر كبير من الاستقلال ، طالما أنه لا يتطفل على نشاط والديه أو يفرض نفسه عليهما • واذا كانت الأسرة متيسرة ماليا ، فانها غالبا ما ترسل أبناءها الى مدرسة داخلية حيث يشعر الآباء بالارتياح لبعد بنيهم عنهم • أما فى الأسر الأقل رعاية فيعمد المراهق الى قضاء مزيد من وقته خارج المنـــزل ويتأخر فى العودة اليه ليرضى حاجته الى الأمن بمصاحبته «شلة» أو جماعة تتألف غالبا مجموعة من الأولاد الأكبر منه سنا •

والنتيجة التى نخرج بها ان كلا النوعين من النبذ ينتج مراهقا غير متكيف ، يميل الى قضاء مزيد من وقته خارج المنزل• أما بالنسبة للفتيات ، على وجه الخصوص • فان الفتاة قد تتزوج زيجة غير معقولة ، اعتقادا منها أن أى منزل سيكون أحســـن من منزلها •

(ب) المنزل الديمقراطى :

هذا النمط من المنازل يعتبر عاملا من عوامل التكيف الطيب فسياسة مثل هذا المنزل تقوم على الحرية والديمقراطية ، فالأبوان يحترمان فردية المراهق ، ولا يفرضان أية سلطة فى توجيهه • ان

الآباء الديمقراطيين يعملون جهدهم لاعطاء المراهق كل المعلومات التى يريدها والتى يحتاجها حتى يمكن أن يحسم قراراته بعد معرفة كافية للاحتمالات والنتائج المختلفة . وهذه الوسائل تعمد لأن تعطى المراهق حرية متزايدة واختيارا أوسع ومعلومات أكثر.

ان المراهق الذى يعيش فى منزل من هذا النوع لديه فرصة أفضل للعمل نحو استقلاله ووسيلة المنزل الديمقراطى لتحقيق هذا المبدأ يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ احترام شخصية المراهق فى المنزل .

٢ ـ العمل على تنمية شخصيته ، والنظر اليها على أنها شخصية فريدة لها قدراتها وميولها واتجاهاتها ، ولابد أن تتاح لها فرصة التنمية الى أقصى حد ممكن .

٣ ـ اعطاء المراهق الحرية فى تفكيره وتعبيره وفى اختيار نوع عمله ، فى حدود مصلحة الجماعة وأهدافها العامة ، وهكذا تصير الحرية فى المنزل حرية تحدها ضوابط اجتماعية ، فيكون مثلها كمثل حركة المرور فى ميدان من الميادين العامة ، لا بد لها من اشارات وقواعد ولوائح تتيح لكل فرد أن يتجه الوجهة التى يرغبها فى سلام وأمان ، دون أن يتعرض لسلامة غيره .

ويختلف طابع النظام داخل هذا الاطار عن النظام فى جو المنزل النابذ الذى يقوم على الشدة والارهاب والحرمان

والاهمال • فالنظام فى المنزل الديمقراطى يقوم على النشــاط الحركة والحيوية والايجابية والتفاعل والتعاون •

وبعد فأى نمط من النمطين السابقين نرتضيه لمراهقينا حتى نحقق لهم النضج والتكيف الاجتماعى والنفسى ؟

ان أساليب المنزل الديمقراطى تخلق مراهقة تستطيع أن تتحمل التبعات وتمارس أعباء الحياة •• تخلق مراهقة مستنيرة قادرة على التفكير السليم والتعاون وتحمل المسئولية والنهوض بالمجتمع ، ولا شك أن هذه الأهداف ، لا يمكن تحقيقها الا اذا توافر لمنازلها الجو الديمقراطى السليم ، الذى تسوده علاقات طيبة ، ويمارس فيه الأفراد الحياة الاجتماعية المنشودة •

كذلك يوضح العلماء•أن أسلوب المنزل القائم على التساهل الزائد أو على الحماية الزائدة من شأنه أن يعيق نمو السـلوك الاستقلالى لدى المراهق أو المراهقة ، ويقول « هاتويك » : ان المراهقين الذين تظهر منازلهم اهتماما زائدا بهم ، يكون سلوكهم أقرب الى سلوك الأطفال •

ومثل هذا النوع يلاقى صعوبات جمة فى تكيفه مع العالم الخارجى ، فاهتمام الأبوين الزائد يقود المراهــق الى توقع الاهتمام والمساعدة من الآخرين ، ويجعله يحاول أن يلفت اليـه الاهتمام متصورا أن مثل هذا الاهتمام حق من حقوقه ، ونراه يسعى خارج المنزل الى أن يكون محور كل موقف يمر به •

وقد لوحظ مثلا أن الفتاة المراهقة التى تعامل فى المنزل بتساهل زائد ، عادة ما تجد صعوبة فى الانفصال عن أبويها ، وعندما تتزوج لا ترضى أن تصاحب زوجها الى جهة عمله اذا كانت خارج المدينة التى يعيش فيها أبواها ، وربما تصر على السكنى فى نفس الحى أو نفس المنزل الذى يقيمان فيه حتى تستطيع الاستمرار فى الاعتماد عليهما وطلب مشورتهما فى كل شئونها.

العوامل البيئية التى تؤثر فى المراهقين :

هناك عوامل بيئية متعددة يمكن أن تظهر فى بيت أى مراهق ، وتؤثر على درجة تكيفه . وبعض هذه العوامل يتصل بالجو السائد فى المنزل ، هل هو من النوع الذى يسوده الوئام ، أم هو من النوع المفكك ، والبعض الآخر عوامل لها علاقة بالمركز الاجتماعى والاقتصادى للاسرة ، ثم هناك بالاضافة الى ما سبق ، عوامل أخرى تلعب دورا هاما فى النمو ، مثل ترتيب ووضع المراهق فى العائلة ، وكذلك الاختلافات فى الجنس .

١ ـ البيت المفكك :

عرف البيت المفكك ـ منذ زمن ـ على أنه نقطة رئيسية فى انعدام التكيف . وهناك عدة عوامل تؤدى الى تفكك البيت:

الطلاق ، الانفصال ، كثرة الغياب عن المنزل بسبب العمل ، توظف الأم ، وفاة أحد الوالدين .. الخ .

وقد أثبتت الدراسات المختلفة ان المراهقين الذين كانوا يعيشون فى بيوت مفككة كانوا يعانون من المشكلات العاطفية والسلوكية والصحية والاجتماعية بدرجة أكثر من المراهقين الذين كانوا يعيشون فى بيوت عادية . ولقد ثبت كذلك أن غالبية المطرودين من المدرسة بسبب سوء التكيف ، كانوا من بين أبناء البيوت المفككة ، وكذلك اتضح أن الأطفال الذين انفصل أبواهم أو طلقا ، ظهر عندهم ميل شديد للغضب ورغبة فى الانطواء ، كما كانوا أقل حساسية للقبول الاجتماعى ، وأقل قدرة على ضبط النفس وأكثر ضيقا .

وقد قرر (هيلى) أن الشجار المتعاقب فى المنزل هو سبب أساسى للجناح (١) ، وخاصة اذا عمد الوالدان الى اتخاذ الطفل محورا لشجارهما .

فاذا كنا نبغى للمراهق أو الطفل نموا عاديا ، وجب أن يعيش فى جو من الاطمئنان والعطف بين عالم الكبار المحيط به . أما اذا كان البيت يسود فيه الشجار المتصل ، فسوف تظهر آثار ذلك واضحة على شخصية وسعادة المراهق ، لأن هذا الجو المضطرب يمنعه من الحصول على الحنان اللازم من والديه .

---

(١) الجناح يعنى الانحراف بالنسبة للأحداث .

٢ ـ ترتيب وضع المراهق فى العائلة :

ان أطفال الأسرة الواحدة يؤثر بعضهم فى بعض تأثيرا له مميزاته وخصائصه • وأنه مما يدعو الى العجب أن تأثيرهم على بعضهم يكون عظيما • وقد يفوق هذا التأثير ما يحدثه الكبار فيهم من أثر • ذلك لأن أطفال الأسرة الواحدة يلعبون معا ، ويقضون معا وقتا أطول من الوقت الذى يقضونه مع الكبار •

وكثيرا ما تنشأ علاقات وطيدة بين الأخ والأخت أو بين الأخوين ، على الرغم من اختلافهما فى السن ، وعندما يصبح الأكبر حاميا ، فقد يتدخل فى عملية استقلال أخيه الأصغر وتحرره ، لكننا نلاحظ أن صراع الصغير ضد تحكم الأخ الأكبر لا يكون بنفس الدرجة التى يقاوم بها سيطرة أبويه •

وبالنسبة لترتيب الأخوة فى الأسرة يبرز التساؤل :

ــ هل الأطفال الاصغر دائما ما يحمون حماية زائدة ؟

ــ وهل الأطفال الأكبر يجدون قبولا أكبر أو أقل عندما يأتى أطفال آخرون ؟

ــ وهل يكون المولود الأول مفضلا دائما ؟

ــ وما مركز الابن الأخير والأبن الوحيد ؟

— وهل يعتبر ترتيب الفرد بين اخوته عاملا هاما فى تثبيت شخصيته ، أو فى انشاء أنماط محددة للصعوبة فى التكيف ؟

ان مركز الطفل الأول فى الأسرة يتيح له فرصا طيبة لكى ينمو ويزيد من قدرته على القيادة ، وربما يجعل نفسه رئيسا لاخوته واخواته . ويقول (ادلر) : « هناك فرق أساسى من ناحية النمو النفسى بين المولود الأول والمولود الثانى . فقد لوحظ أن للطفل الأول مركزا خاصا فى الأسرة ، فهو عندما يولد يكون موضع الرعاية والاهتمام لأنه الطفل الوحيد » .

أما مركز الطفل الثانى ، فهو مركز لا يحسد عليه ، ذلك أننا نلاحظ أن وجود الطفل الأول فى الأسرة يؤثر فى الطفل الثانى وخاصة اذا كان الفارق فى السن بينهما ملحوظا فعندما ينمو الطفل الثانى ويترعرع ويدرك ما حوله ، لا يجد الوالدين من حوله فحسب بل يجد كذلك فى الميدان أخاه الأكبر الذى سبقه فى الميلاد والذى يفوقه قوة ويكبر عنه جسما ووزنا . وكلما ازداد ادراك الطفل الثانى يلاحظ أنه أصبح فى مرتبة ثانوية فى المعاملة ، فمثلا تعطى له اللعب القديمة بعد أن يكون أخوه قد استلمها جديدة واستعملها، وتعطى له كذلك ملابس أخيه القديمة. والذى يزيد الطين بله ، ميلاد طفل ثالث فى الأسرة ، يصبح موضع رعاية جديدة من الوالدين ، فيقل تبعا لذلك مقدار الرعاية التى كانت توجه اليه ، وهنا يأخذ الطفل الثانى ترتيبا

جديدا بين الاخوة فيصبح طفلا أوسط • ان مركز الطفل الأوسط لا يحسد عليه اذ أنه يكون مهاجما من الأمام (عن طريق الأخ الأكبر) ومن الخلف عن طريق الأخ الصغير ؟ •

أما عن الطفل الأخير فى الأسرة ، فان مركزه تحدده عدة عوامل نذكر منها انه عادة ما يكون هناك اختلاف فى معاملة الوالدين له عن بقية الأخوة والأخوات ، مع ميلهما لاطالة مدة طفولته ؛ لأنهما حينئذ يكونان غالبا قد تقدم بهما السن وأصبح أملهما فى انجاب الأطفال محدودا ، ويمكن اعتبار ذلك نوعا من النكوص نحو الشباب ، وفى بعض الحالات نجد أن الطفل الأخير يكون موضع رعاية خاصة وتدليل من الوالدين أو من أحدهما ، وهنا تدب نار الغيرة والحقد فى نفوس أخوته ، كما يتهمون الوالدين بالتراخى فى تربية الطفل وتذكرنا أمثال هذه الحالات بقصة سيدنا يوسف ، وما تعرض له من ايذاء نتيجة كره اخوته له لايثار والديه له بالعطف الزائد •

ويحدث أحيانا أن يكون فى الأسرة طفل وحيد ؛ ويبدو أن فرص اقامة تكيف اجتماعى بالنسبة لهذا الطفل محدودة • فان دراسة سلوك الطفل الوحيد تلقى ضوءا على مقدار ما يفتقر اليه هذا الطفل من خبرات يمكن أن يكتسبها لو أن له قرناء فى نفس الأسرة • فعن طريق المقارنة يتبين الدور الذى يؤديه التفاعل بين الأخوة والأخوات فى تكوين شخصية الأطفال وفى نموهم • وقد

ذكر (بوسارد) (١) أربع صعوبات تواجه نمو الطفل الوحيد فهو يفتقر الى الآخرين الذين يشاركهم ويلعب معهم كما يكون موضع عاطفة قوية من جانب الوالدين، وربما يكون الوالدان من النوع القلق المضطرب البال ، ويترتب على ذلك أن يصبح الطفل موضع اهتمام زائد ، أو يحاط نموه الانفعالي بسياج يحول بينه وبين النمو الطبيعي •

وبسبب ما يواجه الطفل الوحيد من صعوبات ، ينشأ ــ غالبا ــ نشأة لا تساعده على التكيف الاجتماعي ، فنجده عنيدا، صعبا ، حساسا ، ميالا الى العزلة ، مترددا ، كثير الاعتماد على والديه • وهذه كلها صفات لا تدل على النضج الكامل •

٣ ــ الاختلافات في الجنس :

في السنوات الأولى من حياة الطفل تكون ميول الذكور والاناث مشتركة ، بدرجة تجعلهم غير متنافرين ، وعندما تتقدم بهم السن قليلا نلاحظ مظاهر الفرقة بينهم وتأخذ هذه الفرقة المظاهر الآتية :

(أ) شعور الصبي بالسيطرة على البنت لأنه ذكر ، وهنا تشعر البنت بالحقد على الذكر ، وفي الوقت نفسه تأخذ في الشعور بأنها أقل منه منزلة •

---

(١) جيمس بوسارد : النمو الاجتماعي للأطفال (١٩٤٨) •

(ب) يخلق الوالدان فى الأسرة معايير خاصة بالصبى تختلف عن معايير البنت ، فما يقوم به الصبى من السلوك ، قد ترفضه الأسرة اذا قامت به البنت ، وهنا يمنح الأولاد الذكور من الحقوق والامتيازات ما نحرمه على البنت • ان هذه التفرقة فى المعاملة بين الصبى والصبية تؤثر فى علاقة كل منهما مع الآخر ، مما يؤدى الى اشعال نيران الغيرة فى نفوس البنات نحو أخوتهم الذكور •

(جـ) وقد تنكر الأسرة أيضا سيطرة الأخت الكبرى على اخوتها الذكور الصغار ، بل وربما يحل محل ذلك سطوة الاخوة الصغار على أختهم الكبرى •

كل هذه عوامل تعوق نمو شخصية الفتاة المراهقة ، وتجعلها تشعر بالضيق أحيانا وبالدونية أحيانا أخرى • أن التكيف الحقيقى لا يتم الا فى جو من الحرية والشعور بالأهمية • وكلما ثبت المركز الاجتماعى للفتاة فى الأسرة ، كلما كان الدور أو الأدوار التى تقوم بها من النوع الايجابى البناء • أن نمو الشخصية بوجه عام عملية متصلة تتأثر منذ بداية الحياة وتتشكل بحسب ظروف الأسرة والمراكز الاجتماعية التى يشغلها الفرد فى داخل نطاقها وفى خارجها •

التربية الاسلامية للمراهق فى البيت :

وبعد أن استعرضنا رأى علماء النفس والصحة النفسية حول التكيف النفسى للمراهق فى المنزل نستطيع أن ندرك عظمة المنهج الاسلامى لتربية المراهق فى بيته ، وهذا المنهج يعتمد على عدة مبادىء أهمها :

- التكليف بالوسع
- الرفق والحب
- التربية الدينية والخلقية
- العمل مع المراهق ومصاحبته
- العدل بين الأولاد فى المعاملة
- التماسك الأسرى
- رعاية اليتيم

١ ـ التكليف بالوسع :

يوجه الاسلام الى أن تكون معاملة المراهق فى البيت قائمة على سياسة واعية رشيدة تقدر طبيعة المرحلة وما يتناسب معها من أسلوب فى المعاملة بحيث لا تكلف المراهق فوق ما يطيق، والواقع أن الاسلام عنى بمبدأ التكليف بالوسع كما يفهم من قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

من أجل ذلك لا يطلب الأب مثلا من ابنه المراهق أن تأتى تصرفاته متسمة بالنضج الذى يتوقع من الكبار الأمر الـذى يتسبب فى حدوث المشكلات الانفعالية للمراهق ــ كما سبق أن ذكرنا ــ لأن المطلوب منه يتجاوز قدراته الحقيقية •

كذلك يوجه هذا المبدأ الى أن نعترف للمراهق بأن مشاعره طبيعية ، والا نواجهها بالاستنكار أو التقريع أو اللوم ، بل نهيىء له الفرصة من جانبنا للتعبير عن هذه المشاعر مع قيامنا فى الوقت نفسه ــ بتوجيهه برفق وأناة •

٢ ــ الرفق والحب :

ويوجه الاسلام الى المعاملة بالرفق والحب • والبعد عن العنف بكل صوره وأشكاله لأن العنف سوف يزيد من مقاومة المراهق وعناده ، ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التى قد تؤدى الى تقويض بنيانه النفسى كليـة •

عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه» صحيح مسلم •

وعنها أيضا أنه قال : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه » صحيح مسلم •

وعنها أيضا رضى الله عنها قالت : « جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » رواه الشيخان .

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من يحرم الرفق يحرم الخير » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم.

وعنه أيضا قال : « كنت مع الصبيان ، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « السلام عليكم يا صبيان » . رواه الديلمى .

وقد دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحد عماله فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه ذلك فقال عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ قال اذا دخلت سكت الناطق ، فقال له عمر : اعتزل عملنا ، فانك لا ترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

٣ ــ التربية الدينية والخلقية :

وتعتمد التربية الدينية والخلقية فى البيت على ما يلى :

(أ) غرس العقيدة السليمة ، وقد ضرب القرآن مثلا لذلك فى

وصية لقمان ، قال تعالى : « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » — « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور . و لاتصعر خدك للناس، ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » (لقمان ١٧ — ١٩)

(ب) الأمر والتدريب على العبادات والأخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ليشب عليها الأولاد ، فلا تشق عليهم اذا كبروا .
قال تعالى : « وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » .
(طـه : ١٣٢)

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .
(التحريم : ٦ ، ٧)

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » . رواه أبو داود .
(رياض الصالحين)

واذا كان هذا هو شأن الصلاة ، فكذلك الشأن بالنسبة لباقى العبادات وهو أيضا بالنسبة للأخلاق والآداب والمعاملات فلا خير في عبادة مع سوء خلق ، فانما الدين المعاملة : ومن شب على شيء شاب عليه •

قال صلى الله عليه وسلم : « ما نحل (بفتح النون والحاء: أعطى) والد ولدا من نحل (بضم النون وسكون الحاء) أفضل من أدب حسن » • رواه الترمذى •

(جـ) القدوة من جانب الوالدين والأخوة الكبار فيما تقدم •

٤ ـ العمل مع المراهق ومصاحبته :

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » (١) •

وهذا الحديث الشريف يوجه الآباء الى مصاحبة أولادهم ومراقبتهم وتأديبهم أحسن الأدب •

يقول أحد علماء النفس : « ان الحياة مع ولدك المراهق ليس معناها اعطاءه أساليب الحياة وليس معناها أن تحيا لأجله، فان الحياة لأجله وحدها معناها التضحية له ••

ان ما أريد أن أنادى به هو أن نحيا مع أولادنا ، ان

---

(١) رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما •

(الحياة معه) معناها أن يدرك كل منهما الآخر ، ويتقبله بما فيها من نقائص وأخطاء ، وأن يقف الى جواره خلال لحظات الصراع ولا يتخلى عنه ، وأن يمنحه المزيد من الحنان فى لحظات الهلع والهياج غير العادية وأن يمتعه بلحظات السعادة والهدوء والسلام»

ولقد يضيق صدر بعض الآباء من سلوك أبنائهم المراهقين فينهالون عليهم باللوم والتسفيه والتجريح أو العقاب البدنى وهذا ما ينهى عنه الدين الذى يأمر الآباء بأن يتقوا الله فى أفلاذ أكبادهم وأن يقوموا على تربيتهم بحسن الأدب والخلق الطيب وبالوقوف الى جانبهم فى تلك الفترة الحرجة ليأخذوا بأيديهم حتى يعبروها بسلام ، وقد قال بعض الحكماء « لاعب ولدك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه » (غاربه يعنى كتفه) وفى ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه (والأم لابنتها) مصاحبة الصديق الناصح الأمين فى أخطر مراحل عمره وهى مرحلة المراهقة ، وهو تأكيد أيضا لمعنى « الزموا أولادكم » فى الحديث الشريف .

فالهوة الضخمة بين أخلاقيات الكبار والصغار ــ كما يقول أحد علماء النفس ــ تؤكد أنه لا يوجد تفاهم ولا صداقة بين الآباء والأبناء ، وأن الآباء عاجزون عن مساعدة أبنائهم بالنصيحة والتوجيه .. فالمراهق يعتبر نفسه قادرا على تصريف أموره ،

والآباء يعتبرون ذلك من اختصاصهم ، ويعبرون عن آرائهم بطريقة متزمتة فيفقد المراهق ثقته بهم ، ويتخذ طريقه في السر كما يشاء .

وبعض الآباء ينشغلون فى عملهـــم ، لدرجة تحجبهم عن أبنائهم ، فهم مشغولون فى الصباح بالاســـتعداد للذهاب الى عملهم ، وعندما يعودون فى المساء يكون الأبناء قد ناموا . وقد لا ينعم الأطفال بصحبة والدهم الا يوم العطلة الأسبوعية ، وبذلك لا يساهم الأب فى رعاية أبنائه ، والمفروض أنه المثال والموجــه الخلقى للطفــل .

٥ – العدل بين الأولاد :

قال النعمان بن بشير رضى الله عنه : أعطانى أبى عطية ولم ترض أمى حتى يشهد عليها رسول الله صلى الله عليه وســلم فانطلق أبى الى رسول الله وقال له : انى نحلت ابنى هذا غلاما (أى أعطيته عبدا) فقال له رسول الله « ألك ولد سواه ؟ قال نعم . قال رسول الله : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا فقال رسول الله : فلا تشهدنى اذن ، فانى لا أشهد على جور . يا بشير أتحب أن يكونوا لك فى البر سواء ؟ قال : نعم . قال : اذن فاذهب فارجعه ، ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك من الحق عليهم أن يبروك » . ثم قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم (١) » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه .

وهذه القصة التى رواها النعمان عما فعـــل أبوه لا تزال تتكرر بيننا بصور مختلفة لأنها تتصل بطبائع النفوس وخضوعها للأهواء والأطماع • فبعض الآباء قد يقع تحت تأثير زوجة جديدة محببة لديه ، فيخص أولادها ببعض أمواله ويحرم الآخرين من أولاده ، وبعض الآباء تأخذهم عصبية الجاهلية فيظلمون البنات حقهن ويخصون البنين بأكثر من حقهم ، وقد يحرمون ولدا من أولادهم بحجة أنه غير بار بهم •، الى غير ذلك من صور التفرقة بين الأولاد ••

وقد يوسوس الشيطان للآباء بأنهم أحرار فى مالهم وأن من حقهم أن يميزوا هذا عن ذاك من الأولاد •

وما دروا أن الله وضع لهذه الحرية حدودا ، « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفســه » •

ان التفرقة بين الأولاد هى مبدأ الفرقة والشــقاق والعداوة بينهم وتمتد حتى الى ذرياتهم ، ومن الملاحظ أن التفرقة حتى بالكلمة تزرع الحقد بين الأخوة ، فماذا يكون الحال حين تكون التفرقة بالمال كثيرا أم قليلا • ان كثيرا من الأسر تتهدم، ويتحول الاخوة الأحباء ، الى أعداء ألداء يتربص كل منهم بالآخر ، ويحقد عليه نتيجة لسوء تصرف الآباء وما فعلوه من التفرقة بين أولادهم ولو فكر الآباء قليلا فى مستقبل هؤلاء الأولاد لعرفوا أن دوام الحب والتآلف والتعاون بينهم ، خير لهم من كنــوز الأرض •

ولو فكر الآباء فيما ينتظرون من عذاب الله نتيجة لجورهم وظلمهم لبعض أولادهم لما اشتروا عذاب الله ببعض مال يتمتع به ولد من أولادهم في دنياه ، بينما هو يتلظى بنار جهنم في أخراه وقد يكون هذا المال الذى آثر به أحد أبنائه ، سببا في فساده، لأنه مال حرام ، والمال الحرام لا يدوم ، وان دام جلب معه المنغصات .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده — يعني الذكر — عليها أدخله الله الجنة » (رواه أبو داود والحاكم) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعينوا أولادكم على البر بالاحسان اليهم وعدم التضييق عليهم والتسوية بينهم في العطية — من شاء استخرج العقوق من ولده » (رواه الطبراني في الأوسط) .

٦ — التماسك الأسرى :

يعنى الطلاق — من الناحية الاجتماعية — انهيار البناء الاجتماعى للأسرة وزوال مقدمات وجودها ، ويترتب عليه تعرض الأولاد لعدد كبير من المشكلات أهمها :

— مشكلات الحضانة

ـ مشكلات متعلقة بأسلوب التربية والتعليم الذى يتبعه الأب أو الأم واعتراض الطرف الآخر •

ـ مشكلات نفسية أو أخلاقية ناشئة عن التغيير المفاجىء الذى يصيب حياة الأولاد (١) •

ـ مشكلات مادية نتيجة عدم تعاون الوالدين مما يحرم الأولاد من كثير من مطالبهم •

وكل هذه المشكلات ذات تأثير خطير على تكوين المراهق النفسى والاجتماعى •

من أجل ذلك حرص الاسلام على أن ينشأ الولد فى ظل أبويه ، فحاط الزواج بسياج من الروابط القوية التى تحميه من التفكك ، بما شرع فيه لكل من الزوجين من حقوق ، وما فرض فيه على كل منهما من واجبات •

قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » (النســاء ١٩)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم لنسائهم » (**رواه الترمذى وابن حيـان**)

ومن حقوق الزوج على زجته أن تكون سامعة له ومطيعة،

---

(١) ثبت ان نفسية الطفل الذى مات أبوه فى طفولته أفضل من نفسية الطفل الذى انفصل والداه بالطلاق •

وحافظة لعرضه وماله وألا تدخل أحدا بيته الا باذنه وأن تتودد اليه وأن تتزين له • قال تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » (النســاء ٣٤) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صلت المرأة خمسها وصــامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » (رواه ابن حبــان) •

وعن عمرو بن الأحوص رضى الله عنه أنه سمع رســول الله صلى الله عليه سلم يقول فى حجة الوداع : « الا ان لكم على نسائكم حقا لنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن عن يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعــامهن » (رواه ابن ماجة والترمذى) •

وينفر الاسلام من الطلاق كما قال عليه الصلاة والسلام : «ان أبغض الحلال الى الله الطلاق» ، ويحرض على كفالة الرعاية للأولاد ان وقع الطلاق ، فجعل حضانة الطفل حتى الســـابعة وحضانة الطفلة حتى التاسعة من حق الأم لأنها أحسن وأرفق من الأب •

وقد ظهر من نتائج الدراسة الاحصائية التحليلية التى قــام

بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية لعدد ٥٨٩ حدثا من الذين اتهموا فى جرائم سرقة واحيلوا الى نيابة الأحداث فى القاهرة خلال الفترة من ٢ يونيو ١٩٥٧ حتى ٢ يونيو ١٩٥٨، ان أسر الأحداث المتهمين بصفة عامة لا تؤدى وظائفها الحيوية لأبنائها وبناتها ، كما أنها لا تؤدى واجباتها نحوهم ، وهى بعيدة عن أن تكون أسرا سوية فهى أسر متصدعة بمعناها المادى والاجتماعى ، فقد اتضح أن للاحداث موضوع الدراسة ٥٢٠ أبا ، ٦٩ بديل أب ، كما تبين أن لهم ٥٢٠ أما ، ٧٩ بديلة للأم.

وقد تبين أن ٢٩٠ أبا (٥٥ر٧٪) من آباء الأحداث المتهمين ، وأن ٢٩٠ أما (٥٦ر٨٪) من أمهاتهم فى حالة علاقة زوجية قائمة . كما اتضح أن نسبة الطلاق فى محيط الآباء والأمهات ٧ر١٠٪ ، ١١٪ وهى نسبة عالية اذا ما قورنت بالنسبة العامة للطلاق فى مصر وهى تبلغ فى عام ١٩٥٥ نحو ٣ر٢ فى الألف من السكان . (أعمال الحلقة الاولى لمكافحة الجريمة).

٧ ــ رعاية اليتيم :

أما اليتيم ــ وهو من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال ــ فله شأن أكبر وأظهر فى الدلالة على عناية الاسلام بتربية النشء، وتوفير المناخ الصالح لتلك التربية ، فيقول الله عز وجل «ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم» .

فالآية توجه الوصى على اليتامى الى الاصلاح لهم بالتربية والتهذيب والى حفظ أموالهم وتنميتها ، فهم اخوانه فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه على الوجه اللائق الذى فيه صلاحه .

كما يوضح القرآن واجب الوصى فى المحافظة على مال اليتيم ويحذره من استغلاله . فيقول « و لاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية اليتيم فقال :

- « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » (وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ، ليدل على أنهما قرينان أو صنوان) .

- « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » .

هذا الى قول الله لرسوله بعد أن ذكره بفضله عليه حالة يتمه « فأما اليتيم فلا تقهر » ، وقد قال الامام محمد عبده رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية :

لو علم الناس ما فى اهمال تربية الأيتام من الفساد فى الأمة لقدروا عناية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن

مالهم فى اصلاح حال الأيتام كل ما استطاعوا ، ولو أحس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وأنه هدف لنباله ، لا يدرى متى يأخذه عن ولده ، فيتركه اما غنيا يأكل ماله الأوصياء ، أو فقيرا يستذله الأدنياء ، لتسابقوا الى تقديم أمر اليتيم •

الفصل الرابع

منهج الإسلام لتربية المراهق في المدرسة

وحين ينتقل الناشىء من مرحلة البيئة المنزلية الى مرحلة التعليم المدرسى تبدأ مؤثرات المدرسة والمجتمع الأوسع تعمل عملها فى نمو شخصيته وتكوين نظامه الأخلاقى والاجتماعى. ففى هذه المرحلة الممتدة من الطفولة الى الرشد تجتمع آثار التعليم والتلقين والقدوة الصالحة والأوضاع الاجتماعية وأنماط الحياة العامة السائدة وتأخذ شخصيات الناشئين ، بما حملت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة المنزلية ، وبما يلابسها من ظواهر النمو الجثمانى والعقلى ، فى التكيف بهذه العوامل الجديدة وتبدأ الفروق بين الناشئين تظهر فى مجالات تفكيرهم وسلوكهم ، وتبرز هنا وهناك عند بعضهم ألوان متفاوتةالدرجات من الشذوذ والانحراف تحتاج الى تعهد وعلاج ، وتبلغ هذه الألوان شدتها فى مرحلة المراهقة .

ولابد لكى نتفهم دور المدرسة فى تربيـــة المراهق من أن نوضح أن مفهوم التربية ليس مجرد تحصيل العلم ، وأن التجارب قد دلت على أن التعليم اذا خلا من الاعداد الحقيقى للحياةالعملية فانه يترك صاحبه فى حاجة ماسة الى صفات أهم من التعـليم حين يواجه الحياة العملية .

ولو نظرنا الى المعنى العام لكلمة التربية نراه يشمل كـــل أنواع النشاط التى تؤثر فى قوة الفرد واستعداداته وتنميتها . ومصدر هذه الأنواع من النشاط عوامل مختلفة .

فالتربية تشمل كل تغيير فى ميولنا وغرائزنا وأخـــلاقنا يتم عن طريق غير مباشر من عوامل أخـــــرى ، كالقوانين الشرعية أو المدنية ونظام الحكم وأساليب المعيشة والتقاليد الاجتماعيةوالبيئة بأنواعهـــا .

وبالاختصار أن كل ما يشـــــكل الكائن الحى ويجعله فى الحالة التى هو عليها يعتبر جزءا مؤثرا فى تربيته .

وهذا المعنى للتربية الذى قد شمل كل تنمية لقوى الفرد واستعداده وتوجيه ذلك توجيها حسنا هو المعنى العـــام لكلمة « تربيـــة » .

أما التعليم فيراد به نقل المعلومات من المعلم (الايجابى) الى المتعلم (المتلقى) الذى ليس له الا أن يتقبل ما يلقيه المعلم .

لذلك كانت التربية ذات معنى واسع يشمل كل نهوض وترقية ايجابية تقوم بقوى الفرد .

فى حين أن التعليم معناه محدود يتضمن نقل المعرفة . والتربية بالمعنى العام تشمل جميع النواحى الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية .

ويقصد بالتعليم أولا نقل المعرفة الى الفرد كوسيلة للتربية. فهو محدود جدا بالنسبة للتربية وعامل جزئى ، وليس فيه من ايجابية الفرد الا بقدر ما يتلقى به المعرفة .

وكلمة التعليم مأخوذة من العلم ، فالمراد بها الثقافة الذهنية.

ونخلص مما سبق أن تربية الفرد تشمل الاهتمام به من جميع نواحيه .

وأن تعليم الفرد لا يتناول الا جانب العقل .

مكان المدرسة بين عوامل التربية :

وترجع خطورة دور المدرسة فى التربية الى أنها هى الحلقة الوسيطة بين مجتمع الأسرة الضيق ومجتمع الحياة الواسع . ففى الأسرة يتعامل الناشىء مع أفراد قلائل لا تتغير صفاتهم الجسمية أو خصائصهم السيكلوجية والاجتماعية الا ببطء . وفى هذا المجتمع الضيق قد يتدرب على التعامل الجيد وعلى الأخذ والعطاء

أو قد يصيبه الانطواء والالتفاف حول الذات . وفى هذا الوسط الاجتماعى المحدود قد يمارس سلطات دكتاتورية يخضع الوالدان لحكمها ، وقد يعانى صنوفا من القســـوة المتزايدة تحرمه من الشخصية الفردية المتميزة . كما أن مجتمع الأسرة قد يلبى كافة احتياجات هذا الناشىء بصورة تحرمه من المقدرة على المبـادأة والاعتماد على النفس ، أو قد تحرمه اياها بصورة تشيع فيـه الحقد وتنمى فيه النزعات التخريبية بأشكالها المختلفة . كل هذا يتوقف على التنشئة الاجتماعية التى تلقاها فى الأسرة ، مجتمعـه الصـــغير .

وعندما تستقبل المدرسة هذا الناشىء فانه يواجه مجتمعـا جديدا ، يتميز عن مجتمع الأسرة بكبر حجمه وغرابة تكوينه ، فهو يضم أفرادا لا يشاركونه حياته الأسرية ولا يتعاملون معـه بالأسلوب الذى ألفه فتواجهه قيود جديدة أو مسئوليات لا عهد له بها من قبل . ولابد أن يواجه الناشىء الصغير قسطا من عدم التكيف فى بداية عهده بمجتمع المدرسة فاذا ما تلقفته الأيـدى الواعية من المربين والاخصائيين الاجتماعيين فانه سرعان مايجتاز هذه الحواجز ويتكيف للجو المدرسى وللنظم المدرسية وتصـبح المدرسة مجتمعا يرتبط باهتمامات لا تقل فى قوتها عن اهتماماته الأسرية .

وتتميز عملية اعداد الصغار للتكيف مع المدرسة بأنها من

أشق العمليات الاجتماعية وأهمها في الوقت ذاته • فهي تحتاج الى دراسة عميقة بالنسبة لكل طفل على حدة للجو المدرسي الذي يحيط به والتعرف على الحاجات الفعلية له ، ومتابعة الآثار العميقة في سلوكه وتصرفاته للوقوف على المعوقات التي صادفته في مجال الأسرة ودرجة عمقها في حياته • فالطفل يصل الى المدرسة وهو محمل بشحنات انفعالية خاصة تعوق من سيره المدرسي فاذا لم يجد التوجيه والرعاية الكافية من جهة واذا اصطدم بأوامر والتزامات قاسية من جهة أخرى ، فقد ينحرف عن النظام المدرسي ويظهر ذلك في صورة أو أكثر مما يلي :

١ ـ الهروب من المدرسة •

٢ ـ الغياب المطرد أو التأخر عن مواعيد الدراسة •

٣ ـ التخلف الدراسي •

٤ ـ الانحراف داخل البيئة المدرسية وأهم صورها حالات الشذوذ الجنسي وحالات حب التملك •

ومعنى هذا أن المدرسة والنظام المدرسي يمكن أن يشكلا عاملا من العوامل المؤثرة في جناح أو انحراف الأحداث • فاذا كانت المدرسة مثلا تبعد من جهة الموقع عن مسكن التلميذ بمسافة طويلة يضطر أن يقطعها مشيا على الأقدام مجتازا عديدا من الأجواء التي قد تشتت تركيزه المدرسي ، أو أن يقطعها

مستخدما وسائل مواصلات يشعر فيها بالارهاق والعناء فقد يدفعه ذلك الى الهروب والغياب من المدرسة حتى لا يتحمل مثل هذه المشقة . وتسهم فى ذلك عوامل مختلفة أخرى قد تكون المدرسة نفسها عاملا منها كأن يقوم النظام المدرسى على منع التلاميذ المتأخرين صباحا من دخول المدرسة أو طرد التلميذ المذنب دون الاتصال بولى أمره وبأسرته . كما أن مواد الدراسة نفسها وشخصية المربين والقائمين على التدريس اما أن تجذب التلميذ للمدرسة أو تنفره منها فقد يؤدى العقاب الصارم أو التخلف فى احدى مواد الدراسة الى نفور التلميذ من المدرسة، وكثير من حالات الهروب أو النزعات العدوانية داخل المدرسة ترجع فى كثير من المواقف الى عيوب فى النظام المدرسى نفسه .

ومن جهة أخرى فان الطريقة التى تسمح بها النظم المدرسية للتلاميذ فى أن يعبروا عن احتياجاتهم ، تؤثر بصورة بالغة فى شخصية الناشئين وفى أسلوبهم فى التعامل مع الآخرين سواء فى محيط المدرسة أو فى محيط المجتمع الواسع . وتجد العصابات موردا طيبا لها من بين التلاميذ الذين فشلوا فى التكيف مع المدرسة أو الذين فشلت النظم المدرسية فى ضمهم الى حظيرة الجماعات المدرسية ، ولهذا فان من واجب المدرسة ألا تعامل التلاميذ كحشود ، وانما يلزم أن تعتمد فى معاملتهم على أساس التفريد الذى يساعد فى تجنيب التلميذ وصمة الفشل فى تحصيله

المدرسي أو الفشل في جماعات النشـــاط مما يعزله عن الجو المدرسي ويشعره بالقلة والنقص أمام الآخرين • وتحت تأثير هذه الضغوط الانفعالية يجد التلميذ نفسه مقودا الى جماعات أخرى لا سوية سواء من بين رفاقه الفاشلين في الدراسة أو من بين رفاق الطريق الذين تجمعه بهم الرغبة في التعبير عن الذات والشعور بالتقدير والنجاح •

ولهذا يمكن أن تصبح المدرسة ـ التى تفشل في تدعيم عناصر الولاء والحب بين التلاميذ ومدرسيهم من جهة وبينهم وبين النظم المدرسية من جهة أخرى ـ عاملا من العوامل البيئية الخارجية التى تسهم بنصيب في انحراف التلميذ •

العلاقة بين المدرس والمراهق

- وتلعب العلاقة بين المدرس والطلاب دورا هاما في بناء شخصياتهم بدرجة أنه يمكن اعتبارها المفتاح الموصل الى نجاح الموقف التعليمي أو فشله • ومن ثم يحرص علم الصحة النفسية على أن يدخل من الوســائل التى قد تبدو في ظاهرها تافهة ولكنها في حقيقة الأمر تؤدى الى أن تكون العلاقة بين المدرس وطلابه علاقة صحية سليمة ، وصدق شاعرنا شوقي حين قال :

أرأيت أعظم أو أجل من الذى يبنى وينشىء أنفسا وعقولا

ان الطلاب الصغار كالمرآة تعكس حالة المدرس المزاجية

واستعداداته الانفعالية ، فان هو أظهر روح المرح والاستبشار والتفتح للحياة ، كان خليقا بطلابه أن يظهروا الابتهاج وروح الود والتجاوب معه • أما ان هو أظهر الاكتئاب والضيق والتبرم وسرعة التوتر ، لم يجد من تلاميذه الا ما واجههم به • كذلك لا ينبت المدرس الذى اضطربت نفسه واختل الجانب الانفعالى من شخصيته الا تلاميذ مضطربين انفعاليا ومنحرفين مزاجيا • فالمدرس الذى يتصف بأنه شديد الميل الى العدوان والسيطرة يضطر تلاميذه الى أن يكونوا جبناء أميل الى الانسحاب أو الى أن يكون الواحد منهم كثير الميل الى العدوان ، وهم يحاولون التنفيس عن هذا الميل عن طريق معاكسة زملائهم ، واتخاذ العنف وسيلة للتعامل مع الناس عموما • كذلك يلاحظ أن المدرس الذى يحقر تلاميذه ويهون من شأنهم ويسخر من قدرتهم ، يضطرهم الى أن يسلكوا سبيل الغش والكذب والخداع حتى يمكنهم أن يواجهوا مطالب مدرسهم المتعسفة •

العلاقة بين المدرس وتلميذه ليست أمرا بسيطا• اذ تحددها وتتدخل فيها مجموعة من العوامل المعقدة ، فالتلميذ قد يتأثر فى علاقته بمدرسه وبعلاقته مع والديه • بمعنى أن العلاقة التى تربطه بأبيه اذا كانت علاقة احترام فانه يحترم المعلم ، واذا كانت علاقة سيئة فانه يسيىء الى المعلم • كذلك فان نظرة التلميذ لمدرسه ، قد تتأثر بنظرة والده أو نظرة المجتمع الذى يعيش

فيه الى المدرسين عامة • فهذه النظرة تحدد درجة تقدير التلميذ أو عدم تقديره لمدرسيه ، كذلك المدرس قد يتأثر بظروفه خارج المدرسة ، وبكونه متزوجا أو غير متزوج ، منجبا لأطفال أو غير منجب ، كذلك قد يتأثر المدرس فى علاقته بتلاميذه بعلاقته مع مدرسه أيام تلمذته أو بعلاقته مع والده أيام طفولته •

المعلم بديل للأب :

يمر الطفل خلال السنوات الأولى من حياته بخبرات عدوانية بسبب ما يفرضه الوالدان عليه من قيود وقوانين تكون مصحوبة أحيانا بنوع من القسوة • هذه المشاعر العدوانية التى كان يوجهها الطفل نحو الوالدين ، تتحول الى أشخاص آخرين يشغلون عملا يحمل مضمون عمل الوالدين • ولهذا يجد المعلمون انه قد تحولت اليهم نفس المواقف التى كان الطفل يقفها حيال والديه فى السنوات الأولى ، فنجد التلميذ الذى كان يكره والده بسبب قسوته عليه ، قد يجد فى المدرسة متنفسا لا يستطيع أن يجده فى المنزل ، فتنتقل الكراهية الناشئة من قسوة الوالد الى المعلم بحكم ما بين المعلم والوالد من أوجه الشبه فى عقل الطفل وقد تنشأ كراهية التلميذ لمدرسيه لأسباب أخرى منها : شعور الطفل بعدم الأمن بسبب ما يحدث فى الأسرة من شجار بين الوالدين ، أو مرض أحدهما أو تدهور اقتصادى يصيب الأسرة ••• الخ • كل ذلك يجعل الطفل يفقد الثقة بنفسه وبالناس وبالمدرسة

بالمدرسين ، وهنا يتخذ التلميذ من السلطة ممثلة فى مدرسيه هدفا للعدوان .

تلك هى بعض الدوافع التى تدفع فئـة من التلاميذ الى مضايقة مدرسيهم ، فى الوقت الذى يشعر فيه هؤلاء المدرسون نحوهم بكل شعور طيب حيث يبذلون كل جهد لمساعدتهم على أن يتعلموا وينجحوا .

ومن الممكن أن نصل الى فهم أسباب هذا السلوك الشاذ اذا ما علمنا أن هؤلاء التلاميذ يختزنون ضغائن مكبوتة ومشاعر عدوانية كامنة فيهم ، وهم فى هذا يشبهون أولئك الذين يحملون قطعا من الديناميت فى انتظار من يلمسها ، وبقول آخر فان هؤلاء التلاميذ يحسون أن كل شخص يمثل السلطة انما يهدد سلامتهم أكثر من الديناميت الذى يحملونه .

وبناء على ذلك يلزم ألا يقابل المدرس سلوك التلاميذ بما تزيد هذه الكراهية نحوهم . وانما ينبغى أن يقابله بما يخففها بالتدريج ، كما يجب أن يقابل المعلم مشكلات الطفل بالصبر والأناة والتفهم وحسن التوجيه .

وهناك ناحية أخرى تبين أهمية الدور الذى يقوم به المدرس كأب بديل . فبعض الأطفال لا يشعرون بالأبوة الحقيقية . وهم لذلك يبحثون عن علاقات عاطفية مع شخص ما ، يستطيع أن

يحل محل الوالدين . هنا تحين للمعلم فرصة مواتية لأن يقدم لهؤلاء الأطفال القلقين المضطربين ما يحتاجون اليه من عطف وأمان واحساس بالانتماء . والغريب أن هؤلاء التلاميذ الذين يكونون فى أشد الحاجة الى محبة المعلم وعطفه واهتمامه هم الذين لا يمكن احتمالهم بسبب ما يصدر عنهم من سلوك شاذ . ذلك أنهم يتباهون بأعمال الشغب والعدوان داخل حجرة الدراسة . وما هذا السلوك الا وسائل يستغلها التلاميذللدفاع عن أنفسهم من جهة ، وكمظهر من مظاهر العناد والعدوان من جهة أخرى .

والمدرس قليل الخبرة بأصول الصحة النفسية ينظر الى هذا الشغب على أنه نوع من التحدى ومن ثم تزيد كراهية المعلم للتلميذ . وفى بعض الحالات تتسع الدائرة حتى يصبح المعلم فى موقف حرج يضطره الى نقل التلميذ مصدر الشغب الى فصل آخر . ونقل التلميذ الى فصل آخر عمل خاطىء لأنه اعتراف بضعف المعلم فالمدرس الناجح هو الذى يسعى لمعرفة نفسية كل تلميذ قصد مساعدته والأخذ بيده . أما المدرس الذى يعالج العدوان الذى يقوم به التلميذ بعدوان يقوم به هو فى شكل نقل تلميذ من فصل الى آخر أو توقيع عقوبات أو اصدار أوامر قصد مضايقة التلميذ ، فهذا أكبر دليل على عدم نضجه من الناحية الوجدانية والعاطفية .

وهناك ناحية ثالثة تبين أهمية الدور الذي يقوم به المدرس كأب بديل • فهناك فئة من الأطفال تشعر بالنبذ ، والأطفال المنبوذين من والديهم يحتاجون الى الاطمئنان العاطفي في المدرسة، اذ انهم محرومون من الأبوين الحقيقيين بالمعنى المقصود في علم النفس • فهم لذلك يتلمسون هذه العلاقات العاطفية في أي شخص يمكن أن يأخذ دور الوالدين • والطفل المطمئن من حب والديه يمكنه أن يحقق نجاحا مبكرا في بلوغ الاستقلال العاطفي • وأما غير المطمئن عاطفيا فانه يحاول أن يحصل على أية علاقة عاطفية خلال طفولته وحتى خلال حياته. ولذلك فإن الطفل غير المطمئن عاطفيا في حاجة شديدة الى أن يحظى بحب مدرسة •

وتختلف وجهة النظر التى ننادى بها هنا عن مبدئين هامين من مبادىء التربية القديمة • أولهما يتعلق « بالسيادة » التى يجب أن تقوم في بناء العلاقات بين المدرس وتلاميذه • وثانيهما ضرورة وجود « مسافة اجتماعية » بين المدرسين وتلاميذهم أما عن المبدأ الأول فمضمونه إن المدرس الذى لا يسود ، مدرس ضعيف • ويعتمد هذا المبدأ على النظرية التى تقول بضرورة توقيع العقاب على المخالفين والمقصرين من التلاميذ وارهابهم عن طريق السلطة • وهذا العمل الحاسم السريع هو الذى يضع حدا لكل سلوك غير مقبول يصدر عن التلاميذ • أما المبدأ

الثاني فينادى بأن الاحتفاظ بالاحترام بين المدرس والتلميذ
يتوقف على عدم الاندماج معه . ومن ثم تلجأ بعض المدارس
التي تدين بهذا المبدأ الى أساليب مختلفة لتأكيده . منها ضرورة
اطلاق ألقاب على المدرسين وجلوس المدرس على مقعد موضوع
على قاعدة مرتفعة أمام التلاميذ وعدم تناول المدرس لطعام وجبة
الغذاء مع التلاميذ بل يجب أن يعد له مكان خاص بعيد عن
التلاميذ .. الخ .

وصفوة القول أن العلاقات الانسانية بين الرئيس والمرءوس
أو بين أصحاب العمل والعمال أو بين المدرس والتلاميذ يجب أن
تقوم على أساس من الود والتعاطف ولا يمكن تنظيم علاقة من
هذا النوع بين الأفراد على اختلاف طبقات أعمالهم ، عن طريق
القوانين واللوائح ، ذلك أن المسألة لا تتعدى أسلوبا خاصا في
المعاملة . ويتضح ذلك جليا عند زيارة مدرسة لا تتمتع بعلاقات
اجتماعية ناجحة ، فالطريقة التي يحيي بها التلاميذ مدرسيهم
والأسلوب الذي يخاطب به المدرسون تلاميذهم يستطيع أن
يحكم منها الرائي لأول مرة أن العلاقات التي تربط الطرفين انما
هي علاقات تقوم على الود والتفاهم والصداقة ، لا على السلطة
والسيادة .

بناء على ذلك نستطيع القول انه من أول واجبات المعلم
هو أن يكسب حب التلاميذ له ، ويجب أن يكون ذلك أمرا

فرديا ؛ فالمعلم العاقل هو الذى يسبق التلاميذ فى التعرف بهم، وعليه أن يحاول أن يجد أشياء طيبة فى كل تلميذ على حدة ، وأن يعبر عن تقديره لهذه النواحى الطيبة علنا وفى كل وضوح وعليه كذلك أن يحاول فهم الظروف العائلية لكل تلميذ ، والشدائد التى يواجهها واحتياجاته فى المدرسة. والناظر الحكيم هو الذى يقوم بعمل الترتيبات ليزور المعلمون كل تلميذ فى بيته فى أوائل العام الدراسى . فهذا الأسلوب فى التربية يقوى الصلة بين المدرس وتلاميذه ، كما يعمل على تدعيم العادات الاجتماعية الطيبة فى المجتمع .

ومن الخطأ أن يبدأ المدرس علاقته بالتلميذ عن طريق اظهار السلطة ، أو النقد أو التجاهل ، بل يجب على المعلم الا ينقد التلميذ أو يلومه ، حتى يتم الوفاق والود والتعارف بينهما . ذلك أن هذا الأسلوب يثير — بكل تأكيد — الخصومة ويدفع التلاميذ الى أن يسلكوا مسلكا عدائيا نحو المدرسة . ويؤيد هذا الرأى (أوجست ايكهورن) فهو يحدثنا عنها من واقع تجاربه كمدرس وناظر مدرسة ومدير لأكبر مؤسسة للأحداث المنحرفين فى مدينة (فينا) . يذكر (ايكهورن) أن المعلم حين يستخدم وسائل عنيفة مع التلاميذ المقصرين فانه ، يستخدم فى الحقيقة نفس الوسائل التى تدخل الصبى فى صراع مع المجتمع. أن هذه الوسائل بدلا من أن تخفف الموقف نجدها تزيد العداء

وتكشف عن العدوان الكامل فى الصبى ، ومن أجل ذلك لم يكن (ايكهورن) يفرض نظاما قاسيا فى المؤسسة التى كان يشرف عليها ؛ بل كان يتجنب أى قيود يرى أنها غير ضرورية .

العقاب كوسيلة للحد من عدوان التلاميذ :

من الطبيعى ألا يكون للعقاب مكان فى العلاقات التى تقوم بين المدرس وتلاميذه والسؤال الذى يواجهنا الآن : ماذا يكون موقف المعلم تجاه عمل عدوانى يصدر عن التلميذ ، كأن يلقى تلميذ بقطعة من الطباشير على السبورة فى الوقت الذى يكون المعلم موليا ظهره للفصل ؟ ان الواجب الأول للمدرس فى هـذه الحالة هو أن يحاول فهم هذا السـلوك . لماذا ألقى التلميذ الطباشير ؟ هل لأنه كلف بعمل فوق طاقته ؟ هل يعبر عن استيائه لنقد وجهه اليه المعلم ، أو اهانة أحس بها ؟ هل لم يظهر المعلم اهتمامه بالتلميذ كفرد ؟ .

ان فهم المدرس لأسباب العدوان يعتبر الخطوة الأولى التى يجب أن يتخذها المدرس ازاء ذلك العدوان ، وبعد ذلك فمن الواجب على المعلم أن يعد برنامجا محددا يتضمن ألوانا مختلفة من أوجه النشاط ليذيب فيه هذا العدوان . وهذا الأسلوب فى تكوين العلاقات بين المدرس وتلاميذه يقوى هذه العلاقات ويعمل على بناء شخصيات التلاميذ . ومن غير الصواب أن يلجأ للعقاب

كوسيلة لقمع العدوان ، ذلك لأن كل عقاب يزيد الرغبة في العدوان .

الخلاصة أن من الواجب على السلطات التعليمية أن توفر للتلاميذ هذا المدرس المحبوب الودود الذى يغرس في تلاميذه حب الدراسة والاقبال على التعليم . اذ من المعلوم أن خبرات الطفل التى يتعرض لها عند بدء التحاقه بالمدرسة انما تحدد نمط التكيف الذى سيحذوه خلال سنواته التعليمية المقبلة . فكم من طفل قام بتعميم الكراهية التى كان يستشعرها ازاء مدرسيه الذين تلقوه عند بدء حياته الدراسية وجعلها كراهية عامة شاملة تستوعب عملية الدراسة بأسرها والمدرسين على اختلاف شخصياتهم ومواد تخصصهم ثم كان هذا التعميم سببا فى أن ينقطع عن الدراسة وهو لا يزال فى بداية الطريق .

ومن الأهمية بمكان أن يبذل المدرسون كل جهد مستطاع ليجعلوا من العمل المدرسى فى نظر التلاميذ شيئا مسليا ممتعا يستثير هممهم ويعود عليهم بالفائدة ، ان السنوات التى يقضيها التلميذ فى المدرسة قليلة ، ولكل يوم فيها قيمته وأهميته بحيث تصبح المدرسة شيئا تافها اذا كانت الساعات تنقضى فيها ألوان تافهة غير مجدية من النشاط ، وانه لمن المعروف أن التلاميذ يحبون ذلك النوع من المدرسين الذى يحسن تخطيط المشروعات المسلية والذى يغير من خططه وطرقه بين الحين والآخر ، والذى يتيح

لتلاميذه أفسح المجال لكى يمارسوا قدرتهم على الابتكار وتنفيذ الخطط • كما انه مما لا شك فيه أن التلاميذ يقدرون للمدرس احترامه لوجهة نظرهم والتفاته لما يقولون ، أى انهم يقدرون للمدرس معاملته لهم على أنهم آدميون مثله •

وقد أجرى الدكتور / مصطفى فهمى بالاشتراك مع شعبة الارشاد النفسى بكلية التربية بحثا لمعرفة المشكلات الشائعة بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية بمدينة القاهرة • وبلغت العينة (٢٤٣) طالبا وطالبة • وقد طبق فى هذه الدراسة اختبار (مونى) بعد تمصيره واعداده لملاءمة البيئة المصرية • ويتضمن هذا الاختبار (٢٦٤) سؤالا مقسمة الى أحد عشر مجالا وهى :

١ ــ المشكلات الصحية والجسمية •

٢ ــ المشكلات الاقتصادية •

٣ ــ مشكلات وقت الفراغ •

٤ ــ المشكلات الجنسية •

٥ ــ مشكلات التوافق الاجتماعى •

٦ ــ المشكلات الانفعالية •

٧ ــ الدين •

٨ ــ المشكلات المتعلقة بالأسرة •

٩ ــ التوجيه التربوى والمهنى •

١٠ـ العمل المدرسى •

١١ـ المنهج والدراسة •

فجاءت نتائج البحث كما يلى :

أولا : فى المدارس الثانوية للبنين

أكثر خمس مشكلات ترددا هى :

المشكلات الصحية والجسمية :

١ ـ لست قويا وصحيحا بالدرجة الكافية •

٢ ـ لا أقوم بتمرينات رياضية كافية •

٣ ـ أتعب بسرعة •

٤ ـ وزنى أقل من اللازم •

٥ ـ أشكو ضعف عينى •

المشكلات الاقتصادية :

١ ـ أريد أن أعرف كيف أدخر من نقودى •

٢ ـ أريد أن أحصل على بعض المال بجهدى الخاص •

٣ ـ ليس لى غرفة خاصة بالمنزل •

٤ ـ أحتاج الى عمل أشتغل به فى العطلة فقط •

٥ ـ والدى يشقى كثيرا فى عمله •

مشكلات وقت الفراغ :

١ ـ أحتاج أن أثقف نفسى ثقافة أوسع .

٢ ـ ليس لى فرصة كافية لممارسة الرياضة .

٣ ـ تنقصنى المهارة فى الألعاب الرياضية .

٤ ـ لا يوجد مكان مناسب لممارسة الرياضة بالقرب من المسكن .

٥ ـ أشعر كأنى مقيد عند وجودى فى المجتمعات .

المشكلات الجنسية :

١ ـ أرتبك عند الحديث مع أحد أفراد الجنس الآخر .

٢ ـ لا أختلط بسهولة مع الجنس الآخر .

٣ ـ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .

٤ ـ يحق لنا أن نلوم المدرسة لأنها لا تعطينا معلومات جنسية .

٥ ـ أود أن أعرف بعض أنواع الأمراض الجنسية .

مشكلات التوافق الاجتماعى :

١ ـ اننى خجول .

٢ ـ ان شعورى يخدش لأبسط الأشياء .

٣ ـ أريد أن أصبح محبوبا بدرجة أكبر .

٤ ـ أننى شديد الغيرة أو الحسد .

٥ ـ لا أجد من أتحدث اليه فى مشاكلى .

المشكلات الانفعالية :

١ ــ أسرح كثيرا فى الخيال .

٢ ــ أثور وأفقد أعصابى بسرعة .

٣ ــ أنفعل بسرعة لأبسط الأمور .

٤ ــ ما أسرع تساقط الدموع من عينى .

٥ ــ اننى عنيد جدا .

الدين :

١ ــ لا أتردد على المسجد بالقدر الكافى .

٢ ــ أريد أن أحس بأننى قريب من الله .

٣ ــ أريد أن أفهم القرآن « أو » الانجيل .

٤ ــ يحيرنى مصير الناس بعد الموت .

٥ ــ أخاف أن يعاقبنى الله فى الآخرة .

المشكلات المتعلقة بالأسرة :

١ ــ والداى يضحيان بأكثر مما يجب من أجلى .

٢ ــ أحد والدي متوفى .

٣ ــ لست فى وفاق تام مع أحد اخوتى .

٤ ــ أعانى من وجود منازعات عائلية .

٥ ــ لا أصارح والدى بكل شىء عنى .

التوجيه التربوى والمهنى :

١ ـ اننى أتعجل الانتهاء من الدراسة والحصول على عمل .

٢ ـ أحتاج الى نصيحة بخصوص ما أفعله بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية .

٣ ـ أرغب فى معرفة المزيد عن كليات الجامعة المختلفة .

٤ ـ أخشى الا تسمح لى الجامعة بالالتحاق بها .

٥ ـ أحتاج أن أضع خطة للمستقبل .

العمل المدرسى :

١ ـ لا أقضى وقتا كافيا فى المذاكرة .

٢ ـ لا أعرف كيف أذاكر بطريقة مثمرة .

٣ ـ أجد صعوبة فى الأعمال الشفوية .

٤ ـ أشعر بقلق من ناحية الامتحانات .

٥ ـ لا أميل الى بعض المواد الدراسية .

المنهج والدراسة :

١ ـ بعض الامتحانات قاسية .

٢ ـ درجات الامتحان ليست مقياسا صحيحا للقدرة .

٣ ـ كثير من مدرسينا ضعاف .

٤ ـ مدرسونا لا يراعون احساس الطلبة .

٥ ـ مدرسونا تنقصهم الشخصية .

أكثر خمس عبارات ترددا فى الاجابات السابقة :

١ ـ لا أتردد على المسجد « أو » الكنيسة بالقدر الواجب ٠

٢ ـ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية ٠

٣ ـ لا أختلط بسهولة مع الجنس الآخر ٠

٤ ـ أسرح كثيرا فى الخيال ٠

٥ ـ أخاف أن يعاقبنى الله فى الآخرة ٠

ثانيا : فى المدارس الثانوية للبنات

المشكلات الصحية :

١ ـ أتعب بسرعة ٠

٢ ـ لا أقوم بتمرينات رياضية كافية ٠

٣ ـ كثيرا ما أعانى من الصداع ٠

٤ ـ أشكو ضعف عينى ٠

٥ ـ أخاف من اضطراب العادة الشهرية ٠

المشكلات الاقتصادية :

١ ـ أريد أن أعرف كيف أدخر من نقودى ٠

٢ ـ أريد أن أحصل على بعض المال بجهدى الخاص ٠

٣ ـ ليس لى غرفة خاصة بالمنزل ٠

٤ ــ والداى يشقيان كثيرا فى العمل .

٥ ــ أتمنى أن أسكن فى حى غير حينا .

مشكلات الفراغ :

١ ــ أرتبك عند مقابلة الناس .

٢ ــ لا أجد فرصا كافية للاستمتاع بالطبيعة .

٣ ــ لا تتاح لى فرص كافية للذهاب للسينما .

٤ ــ لا أجد شيئا مسليا أفعله فى العطلة الصيفية .

٥ ــ لا يسمح لى عادة بالخروج ليلا .

المشكلات الجنسية :

١ ــ أرتبك عند الحديث مع أحد أفراد الجنس الآخر .

٢ ــ لا يسمح لى بصداقات مع الجنس الآخر .

٣ ــ يحيرنى موضوع العلاقات بين الجنسين .

٤ ــ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .

٥ ــ يحيرنى أمر مقابلة الشبان للفتيات .

مشكلات التوافق الاجتماعى :

١ ــ انى خجول .

٢ ــ ان شعورى يخدش لأبسط الأشياء .

٣ ــ أرتبك بمنتهى السهولة .

٤ ــ أريد أن أصبح محبوبا بدرجة أكبر •

٥ ــ أحس أنه لا يوجد من يفهمني •

المشكلات الانفعالية :

١ ــ أسرح كثيرا في الخيال •

٢ ــ أثور وأفقد أعصابي بسرعة •

٣ ــ أنفعل بسرعة لأبسط الأمور •

٤ ــ انني كثير القلق •

٥ ــ ما أسرع تساقط الدموع من عيني •

الدين :

١ ــ لا أتردد على المسجد « أو » الكنيسة بالقدر الواجب •

٢ ــ يحيرني تفسير « الله » •

٣ ــ أريد أن أحس بأني قريب من الله •

٤ ــ يحيرني مصير الناس بعد الموت •

٥ ــ أخاف أن يعاقبني الله في الآخرة •

المشكلات الأسرية :

١ ــ والداي يضحيان كثيرا من أجلي •

٢ ــ انني مشغول جدا من جهة أحد أفراد الأسرة •

٣ ــ بعض أفراد أسرتي مرضى •

٤ ــ لا أصارح والدى بكل شيء •
٥ ــ لست على وفاق تام مع أحد اخوتى •

مشكلات التوجيه المهنى :

١ ــ أحتاج الى نصيحة بخصــوص ما أفعله بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية •
٢ ــ انني أتعجل الانتهاء من الدراسة والحصول على عمل •
٣ ــ أرغب فى معرفة المزيد عن كليات الجامعة المختلفة •
٤ ــ يتعذر على أن أقرر نوع الكلية التى سألتحق بها •
٥ ــ أخشى ألا أستطيع الالتحاق بالجامعة •

مشكلات العمل المدرسى :

١ ــ لا أقضى وقتا كافيا فى المذاكرة •
٢ ــ لا أستطيع التركيز على الدروس •
٣ ــ لا أعرف كيف أذاكر بطريقة مثمرة •
٤ ــ لا أميل الى بعض المواد الدراسية •
٥ ــ أشعر بقلق من ناحية الامتحانات •

مشكلات المنهج والدراسة :

١ ــ ليس عندى مكان مناسب للمذاكرة فى المنزل •
٢ ــ مدرسونا ليسوا أصدقاء التلاميذ •

٣ ـ مدرسونا لا يراعون احساس الطلبة .
٤ ـ درجات الامتحان ليست مقياسا صحيحا للقدرة .
٥ ـ بعض الامتحانات قاسية .

أكثر خمس مشكلات ترددا فى حالة الفتيات :

١ ـ أتعب بسرعة .
٢ ـ كثيرا ما أعانى من الصداع .
٣ ـ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .
٤ ـ لا أعرف كيف أذاكر بطريقة مثمرة .
٥ ـ ما أسرع تساقط الدموع من عينى .

مشكلات المراهقين فى المدارس :

ومن المفيد أن نقف على نتائج البحث القيم الذى قامت به الادارة العامة لرعاية الشباب بوزارة التربية والتعليم عام ١٩٦٢ وكان موضوعه « سلوك الطلاب فى المرحلة الثانوية » ، ونذكر منه ما يلى :

أنواع السلوك غير السوى :

جاء ترتيب أنواع السلوك غير السوى الشائعة بين الطلاب طبقا لآراء المشتركين فى الدراسة من رجال التربية والتعليم وحسب مجموع تكرارات كل منها : هى :

م	نوع السلوك	عدد التكرارات	م	نوع السلوك	عدد التكرارات
١	التأخر الدراسى	٦٥٧	٩	المشكلات الجنسية	٣٠٩
٢	الهروب من المدرسة	٦٢٩	١٠	التدخين	٣٠١
٣	التغيب عن المدرسة	٦٠٠	١١	العدوان على الزملاء	٢٧٤
٤	الاستهتار بالنظام المدرسى	٥٠٩	١٢	الانطواء	٢١٦
٥	الكذب	٤٦٦	١٣	عدم طاعة الوالدين	١٩٠
٦	معاكسة الجنس الآخر	٤٥٧	١٤	السرقة	١٨٩
٧	السلوك الاتلافى	٣٨١	١٥	العدوان على المدرسين	٣٥
٨	الميوعة	٣٢٧			

أسباب السلوك غير السوى :

تبين من نتائج الدراسة أن أسباب السلوك غير السوى بين الطلاب مرتبة حسب أهميتها فى نظر المشتركين بالاستفتاء ترجع الى :

م	السبب	عدد التكرارات
١	البيئة المنزلية	١٠١٣
٢	رفاق السوء	٨٠٦
٣	الحالة الاقتصادية	٧٤٦
٤	مشكلات أوقات الفراغ	٥٩٧
٥	المغريات الخارجية	٤٥٠
٦	ضعف شخصية الطالب	٣٠٦
٧	أسباب صحية	٢٩٤
٨	الأغانى والروايات الخليعة	٢٤٤
٩	ازدحام الفصول	٢٣٥
١٠	عدم ملاءمة الاستقرار النفسى لنوع الدراسة	٢٢٧
١١	نقص وسائل الرعاية الفردية بالمدارس	٢١٩
١٢	جفاف المناهج	٢١٢
١٢	عدم توافر امكانيات الحياة الاجتماعية بالمدرسة	١٩٧
١٤	النقص فى الهوايات الملائمة لرغبات الطلاب	١٣٣

ونستعرض فيما يلى نتائج دراسة بعض هذه المشاكل :

مشكلات الاستهتار :

وتبدو مظاهر الاستهتار فى أنواع السلوك التالية :

التبجح فى مخاطبة الغير ـ الاهمال فى اداء الواجبات المدرسية ـ معاكسة الجنس الآخر ـ عدم احترام مواعيد المدرسة ـ الخروج عن النظام فى الأماكن العامة ـ التغيب عن

المدرسة بدون سبب ـ الاسراف فى العادات الضارة صحيا الاستهتار بحقوق الغير ـ اثارة الشغب أثناء التدريس ـ الميوعة ـ سوء تصرف الطالب فى حاجته الخاصة ـ الاستهانة بشعور الآخرين ـ المغامرات غير المأمونة .

أسباب الاستهتار :

وانتهت الدراسة الى أن أسباب الاستهتار ترجع الى عوامل ذاتية وعوامل أسرية وعوامل مدرسية وعوامل بيئية بيانها كما يلى :

(أ) الأسباب الذاتية :

الغرور ـ عدم الرغبة فى تحمل المسئولية ـ ضعف الوازع الدينى ـ ضعف ثقة الطالب بنفسه أو بغيره ـ الرغبة الزائدة فى جذب الانتباه ـ الفشل المتكرر .

(ب) الأسباب الأسرية :

ضعف الرقابة المنزلية ـ اهمال الوالدين فى تربية الأبناء ـ النزاع المستمر بين الوالدين ـ التفرقة بين الاخوة فى المعاملة ـ تفكك الأسرة .

(ج) الأسباب المدرسية :

ضعف الرابطة بين الطالب والمعلم ـ ضعف الصلة بين المدرسة والمنزل ـ التهاون مع الطلبة ـ كراهية الطالب

للمدرسة ــ النقص فى امكانات النشاط المدرسى ــ الشدة فى تطبيق النظم المدرسية ــ عدم الميل الى نوع التعليم ــ النقص فى الخدمات الاجتماعية .

(د) الأسباب البيئية :

رفاق السوء ــ ضعف الرقابة على الكتب والأفلام والأغانى ــ ضعف التربية الدينية ــ عدم توفر وسائل شغل أوقات الفراغ فى البيئة الخارجية .

علاج مشكلة الاستهتار :

وانتهت الدراسة الى اقتراح الوسائل لعلاج الاستهتار أو التخفيض من آثاره وهى كما يلى :

١ ــ توثيق الصلة بين المدرسة والمنزل .
٢ ــ التدريب على تحمل المسئولية .
٣ ــ تبصير الآباء وأولياء الأمور بمشكلات الطلبة وطرق معاملتهم .
٤ ــ حسن اختيار المدرس الرائد وتوفير الوقت اللازم له
٥ ــ توفير امكانات وبرامج النشاط المدرسى وشغل وقت الفراغ .
٦ ــ حسن توجيه التلاميذ الى نوع التعليم الذى يتفق وميولهم .
٧ ــ الاهتمام برعاية المشكلات الفردية .
٨ ــ الاهتمام باتحادات الطلاب وتوظيفها .

٩ ــ تجنب ابعاد الطالب عن المدرسة كعقوبة •

١٠ ــ عدم الالتجاء الى الفصل من المدرسة الا بعد دراسة الحالة اجتماعيا •

١١ ــ توقيع عقوبات على الطلبة المستهترين •

١٢ ــ الاهتمام بالتربية الدينية •

١٣ ــ تنظيم الرقابة على الأفلام والمجلات والملاهى •

١٤ ــ مكافأة الطلبة الممتازين خلقيا ودراسيا •

١٥ ــ الغاء حفلات السينما الصباحية •

مشكلات الكذب :

وأجمع المشتركون فى البحث على أن انتشار ظاهرة الكذب « بدرجة متوسطة » ثم جاءت نتيجة الدراسة عن أسباب الكذب والأساليب المقترحة لعلاجه كما يلى :

أسباب الكذب : (المواقف التى يلجأ فيها الطالب الى الكذب)

١ ــ قد يكذب الطالب ليتخلص من موقف حرج ليتفادى العقاب •

٢ ــ قد يكذب الطالب لينقذ زميلا له •

٣ ــ " " " ليحقق رغبة شخصية •

٤ ــ " " " ليتباهى أمام الآخرين •

٥ ــ " " " لسوء ظنه وعدم ثقته بالآخرين •

٦ ــ قد يكذب الطالب ليلحق الضرر أو لينتقم من شخص يكرهه .
٧ ــ " " " لاثارة فتنة للتفرقة بين الآخرين .
٨ ــ " " " لأنه يجد لذة فى الكذب .
٩ ــ الكذب بدافع التقليد .
١٠ ــ " " الشعور بالنقص .
١١ ــ " لعدم الثقة بالنفس .
١٢ ــ " لفساد البيئة .
١٣ ــ " تتيجة لاضطرابات العلاقات الأسرية .
١٤ ــ " لضعف التربية الدينية .

الوسائل التى تؤدى الى التخفيف من انتشار ظاهرة الكذب :

١ ــ القدوة الحسنة فى المنزل والمدرسة .
٢ ــ الاهتمام بالتربية الدينية بالمنزل والمدرسة .
٣ ــ حسن اختيار الأصدقاء .
٤ ــ تبصير الطالب بأضرار الكذب .
٥ ــ شغل أوقات الفراغ بوسائل مفيدة .
٦ ــ تحقيق رغبات الطالب بطرق مشروعة .
٧ ــ الرقابة على وسائل النشر والاذاعة .
٨ ــ عقاب الكاذب .
٩ ــ اتباع أسلوب اللين مع الطالب .
١٠ ــ تشجيع الصادق بالجوائز .
١١ ــ احترام شخصية الطالب .

١٢ ــ اعفاء الكاذب اذا قال الصدق .
١٣ ــ حل مشكلات الطالب بعد دراسة أسبابها .
١٤ ــ تعويد الطالب على تحمل المسئولية .

مشكلة الانطواء :

ومظاهره هي تحاشي المناقشات داخل الفصل ــ عدم الاقبال على أنواع النشاط المدرسى الجماعى ــ عدم القدرة على اكتساب صداقات جديدة ــ اعتزال الناس ــ التردد وأحلام اليقظة .

الأسباب التي قد تؤدى الى الانطواء :

١ ــ قد ينطوى الطالب للمعاملة القاسية التى يلقاها بالمنزل أو المدرسة .
٢ ــ " " " لفشله المتكرر فى الدراسة .
٣ ــ " " " لضعف الثقة بنفسه أو الآخرين .
٤ ــ " " " لاصابته بعاهة .
٥ ــ " " " لتعرضه للصدمات والكوارث .
٦ ــ " " " لظروفه الاقتصادية السيئة .
٧ ــ " " " لاستغراقه فى التفكير فى مشكلاته الخاصة .
٨ ــ " " " لانعزال الأسرة وعدم الاختلاط .
٩ ــ " " " للتفرقة فى المعاملة سواء بالمنزل أو المدرسة
١٠ ــ " " " لافتقاره الى بعض المهارات .

الوسائل التى تؤدى الى التخفيف من ظاهرة الانطواء :

١ ــ التشجيع على شغل أوقات الفراغ فى النشاط الجمعى .

٢ ــ التوسع فى انشاء الأندية الرياضية ومراكز الخدمة العامة والمعسكرات باشتراكات زهيدة .

٣ ــ توزيع المسئوليات على الطلاب وتدريبهم على القيادة .

٤ ــ المساواة فى المعاملة بين الاخوة فى المنزل والتلاميذ فى المدرسة .

٥ ــ تشجيع الطلبة المنطوين على الاندماج فى جماعات النشاط المدرسى .

٦ ــ تدعيم العلاقة بين المنزل والمدرسة .

٧ ــ حسن اختيار رواد الفصول وتيسير مهمتهم .

٨ ــ توفير الخدمات الاجتماعية داخل المدرسة وخارجها .

أغراض التربية الاسلامية فى المدرسة :

وفى هذا المجال ــ التربية فى المدرسة ــ يوجه الاسلام الى أن تحقق المدرسة أغراضا أساسية للتربية هى التربية العقلية والتربية الجسمية والتربية الدينية والخلقية .

أولا — التربية العقلية :

عنى الاسلام بالتربية العقلية وشحذ ملكات الادراك وكسب العلوم والمعارف ، وقد حث القرآن فى أكثر من موضع على التفكير والتأمل والاحاطة بحقائق الكون ، ومسائل العلوم . فمن ذلك قوله عز وجل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ » وقوله : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » وقوله « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » . وكان عليه الصلاة والسلام قدوة الداعين الى التربية العقلية والتعلم بأفعاله وأقواله. فمن أفعاله عليه السلام فى هذا الصدد تحريره بعض أسرى الحرب ببدر على أن يعلموا طائفة من المسلمين القراءة والكتابة . ومن ذلك أيضا انه طلب الى الشفاء العدوية أن تعلم زوجه حفصة تحسين الخط وزخرفته . ومن أقواله عليه السلام فى ذلك «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » و « العلماء ورثة الأنبياء » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » . — وعلى نهج الرسول عليه السلام فى الحض على التربية العقلية والتعليم سار الصحابة والتابعون والسلف الصالح . قال مصعب بن الزبير لابنه : «تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا » . وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : « يا بنى تعلموا

العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم » .

ثانيا ـ التربية الجسمية :

وعنى الاسلام بكل ما يبنى الجسم القوى السليم من ألوان التربية البدنية والرياضية فحث على تعلم السباحة (١) وركوب الخيل ، كما يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » ، كما حث على السباق فى الجرى والمصارعة ورفع الأثقال والسباق بين الفرسان على الخيل أو الابل ، واشترك النبى صلوات الله وسلامه عليه فى هذا .

ويمدح الاسلام المؤمن القوى ويعتبره أنفع وأفضل عند الله من الضعيف فيقول الرسول الكريم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ويقول فى حديث آخر : « ان لبدنك عليك حقـا » .

وكان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول لولده « يا بنى العبوا فان المرءوة لا تكون الا بعد اللعب » .

واهتمام النظام المدرسى بالتربية الجسمية والرياضية بأشكالها المختلفة يؤدى ـ فوق ما يحققه من قوة الأجسام ـ الى تقوية

(١) قال الحجاج لمربى ولده : « علم ولدى السباحة قبل الكتابة فانهم قد يصيبون من يكتب عنهم ، ولكنهم لا يصيبون من يسبح عنهم » .

المراهقين على الرياضة وتنمية حبها فى نفوسهم الأمر الذى يساهم الى حد كبير فى حل مشكلة أوقات الفراغ فى حياتهم سواء فى المدرسة أو خارجها .

فان من أحسن ما يعصم التلاميذ من مزالق السوء والانحرافات وفساد الأخلاق أن تهتم التربية بأوقات الفراغ ، فهى مفسدة للروح والخلق والعقل والبدن . ومشاكل الأحداث تأخذ فى الاطراد كلما وجدوا أنفسهم فى هوة فسيحة من الفراغ لا يعرفون ماذا يفعلون ولا الى أين يتجهون ، وما أكثر الفراغ فى عصرنا هذا سواء أكان ذلك فى المدارس أم فى غيرها .

والواقع أن حسن استثمار وقت الفراغ قد أصبح مقياسا من مقاييس الحضارة بالنسبة للشعوب وكثيرا ما يتحدد اتجاه الدولة نحو البناء الاجتماعى وفقا لمفهوم هذه الدولة وفلسفتها تجاه وقت الفراغ .

من أجل ذلك عنيت الدول المتحضرة بوضع الخطط المختلفة لحسن الاستفادة من وقت الفراغ بما يعود على المواطن وعلى الدولة بالنفع .

وقد دلت الأبحاث النفسية والاجتماعية على أن الفراغ يأتى على رأس الأسباب المباشرة لانحراف الشباب وخاصة فى مرحلة المراهقة ، وهو المسئول عن مشاكل تشرد الشباب وجناح الأحداث

والتسكع فى الشوارع والانضمام الى رفقاء السوء والعصابات وادمان الخمر والمخدرات وكل ما يؤدى الى تدهور الأخلاق والقيم والأمراض النفسية • والحل السليم لمشكلة وقت الفراغ ـ كما أثبتت الدراسات والأبحاث ـ هو ما يسميه علماء النفس بأسلوب الاستبدال وهو يحول فكر المراهق وقلبه من الاتجاه وراء دوافع الغرائز ، وينوجه بها وجهة نافعة تتفق مع مصلحته ومصلحة المجتمع •• وتهتم الدول المتقدمة بهذا الأمر فتهىء لشبابها كل الوسائل لحسن استغلال وقت الفراغ مثل الملاعب والأندية الرياضية والنشاط الكشفى والرحلات والمكتبات ومراكز الثقافة والخدمة العامة ومعسكرات العمل وغيرها •

ولقد عنيت المدرسة الاسلامية أعظم العناية بهذا الأمر ، فهى تحول فكر الفتى والفتاة الى التركيز على نواح كثيرة ومفيدة مثل تحصيل المعرفة والعمل والعبادة والرياضة وغيرها •

ثالثا ـ التربية الدينية والخلقية :

وألزم ما يلزم للناشئين فى هذه المرحلة التربية الدينية المناسبة ، والجو الاجتماعى النقى والاشراف النفسى الحكيم • فأما التربية الدينية المناسبة فى مراحل التعليم فان جوهرها الوصول الى وجدان الناشىء وضميره وتنمية عاطفته الدينية ، وربط جوانب شخصيته بحبل العقيدة والتعاليم الروحية وأحكام صلته بخالقه عن طريق اتصاله بكتاب الله حفظا وفهما ودراسة

وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وسيرة أصحابه وخلفائه والصالحين من أمته ، وبما يناسب سنه وعقله من مبادىء التشريع الدينى وأسراره ، وبالمعالم البارزة من تاريخ الأمة الاسلامية وحضارتها ودورها فى تقدم الانسانية، وبتهيئة الوسائل له لاقامة شعائر دينه وتشجيعه على ممارسة أعمال الخير والبر ، وبتوجيهه الى الاتصال بالكتب وبالنصوص الاسلامية التى تتضمن أو توحى بالترغيب فى الاستقامة والتنفير من الانحراف ، ومن الضرورى أن يبنى كل ذلك على منهج تربوى ونفسى مدروس ، وأن يكون القائمون على شئون التعليم قدوة صالحة للمتعلمين ، وأن تعنى المدارس والمعاهد ، ومراكز تجمع الشباب بكل ما يساعدهم على اقامة الشعائر الدينية ، وينمى فى نفوسهم الشعور بجلال المواسم الاسلامية والحرص على احيائها ويحقق لهم فضيلة النشأة فى عبادة الله .

ومما يجدر ذكره انه لا يصح أن نتصور أن مدرس الدين هو المسئول وحده عن التربية الدينية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى التلاميذ ، بل الواجب أن نقرر أن جميع المسلمين مسئولون أيضا ، أن التلميذ يمضى أكثر ساعات النهار لأكثر أيام السنة فى صحبة المعلم ، والمعلم هو الذى يشكل عقول تلاميذه ويمدهم بالمواد الثقافية ويزودهم بالقيم والاتجاهات التى تتشكل على هديها أنماط سلوكهم **الاجتماعى** .

هذا وباستقراء الوصايا التى كان يقدمها الخلفاء والقادة للمربين ، يتبين أنهم كانوا يرون أن التربية الكاملة هى ما انتظمت جميع الأغراض الســابقة مع توجيه أكبر عناية الى النــاحيتين الخلقية والدينية .

فقد كتب الرشيد الى معلم ولده الأمين فقال :

« يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجالسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنى فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه . ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه . وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

وكتب عمرو بن عتبة لمعلم ولده فقــال :

« ليكن أول اصلاحك لولدك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح ما تركت . علمهم كتاب الله ولا تملهم منه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه . روهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم

الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك » .

وقد ورد فى تقرير لجنة العلماء الذين أشرفوا على بحث مشكلات الطلاب فى المدارس الثانوية الذى تحدثنا عنه التوصيات الآتية فيما يتصل بالتربية الدينية :

لا ينكر أحد ما للدين من أثر فى تهذيب سلوك الأفراد واتصافهم بالمبادىء الخلقية القويمة وهو المحور الأساسى الذى تدور حوله القيم والمعتقدات فى مجتمعنا العربى بصفة خاصة وقد كان الاقتراح الخاص بنشر التربية الدينية فى المدرسة والمنزل فى مقدمة الوسائل التى أشار اليها المشتركون فى البحث للحد من انتشار الظواهر السلوكية المختلفة بين الشباب ويمكن اتباع الوسائل الآتية لتحقيق هذا الاقتراح :

(أ) الاهتمام بدروس الدين المقررة وجعلها مادة أساسية فى جميع الفرق والامتحانات النهائية .

(ب) أن يعاد النظر فى برامج الدين بالمدارس بحيث تتناول النواحى العملية والتطبيقية لمبادئه القويمة الى جانب الناحية النظرية . والتوسع فى مناقشة المبادىء مع الطلبة وربطها بطريقة التنفيذ والتطبيق فى الحياة الواقعية .

(ج) الاهتمام بالسير الدينية للرسل وكبار الأئمة والمصلحين .

واجراء مسابقات لاصــــدار كتب حول هذه الســـير واستخلاص المبادىء منها وربطها بخطة لسلوك الأفـراد فى المجتمــــع •

(د) ان القدوة الحسنة هى خير طــريق لتثبيت المبادىء فى نفوس الطلاب وكل مدرس فى المدرسة يستطيع أن يكون قدوة اخلاقية كريمة وعاملا فعـــالا فى غرس الاتجاهات الصالحة عن طريق سلوكه مع الطلاب والتمسك بالــدين ومبادئه والتزامه أساليب الصدق وعــدم المحاباة والمعاملة الديمقراطية والمحافظة على مواعيده الى غير ذلك • ومجال الفصل والنشاط هو خــير المجــالات وأحسنها للممارسة العملية والتدريب على تحقيق المبادىء •

(هـ) أن تعنى المدارس باقامة الشعائر الدينية بها وحث التلاميذ على ممارســتها • ١

(و) هناك الكثير من النصوص الدينية التى تمس حياة الأفراد والجماعات ويقترح أن تكون لجنة من رجال الدين ومن الاجتماعيين لاستخراج هذه النصــوص وتحليلها ونشرها فى كتيبات يسهل تداولها • وتوزع ضمنا على الوعاظ والمربين لنشرها بدورهم على أفراد الشــعب لنشر الوعى الدينى والاجتماعى بينهم •

الفصل الخامس

منهج الإسلام فى التربية السلوكية

كلنا شركاء فى المسئولية :

اذا كان البيت هو الموقع الذى تبدأ فيه التربية ، واذا كانت المدرسة هى الحلقة الوسطى بين البيت والمجتمع الـكبير الذى يعيش ويتحرك فيه ويتفاعل فيه مع غيره من الناس يتأثر بهم ويؤثر فيهم ، فليس من صواب الرأى أن نلقى بكل المسئولية على عاتق أحد هذه المواقع (البيت ــ المدرسة ــ المجتمع) دون غـيره .

فالواقع أن هذه المواقع تشترك جميعا فى المسئولية وخاصة فى هذا العصر الذى اشتغلت فيه المرأة بالعمل ولم تعد متفرغة تماما لتربية أولادها ، والذى كثرت فيه وسائل التأثير والتوجيه والتثقيف كالكتب والصـحافة والاذاعة والتليفزيون والمسرح والسـينما ..

بل ان مقتضى هذه الشركة فى المسئولية هو ألا تتحد هذه

العوامل فى الأهداف والمسـائل فحسب ، بل هو أن يتولى أحدها سد النقص الذى فى الآخر • أى أن واجب المدرسة ووسائل الاعلام مثلا أن تعوض بعض الأولاد عما لا يجدونه أحيانا فى بيوتهم من حسن التوجيه والتربية اما بسبب عدم التفرغ كما بينا أو جهل الآباء بأساليب التربية الصحيحة أو بسبب عوامل التفكك الأسرى الى غير ذلك من العوامل •

اننا نمر الآن بمرحلة انتقال وتطور هامة شملت كثيرا من جوانب حياتنا ومن هنا أصبح واجبا علينا نحن الذين نشارك فى صنع هذه المرحلة أن نعمل ما وسعنا الجهد على أن تمر دون أن يهتز فى نفوس أولادنا رجال المستقبل شىء من هذه القيم الخلقية أو الدينية ، فانه لا توجد أمة ، ولا تقوم ، أو تعيش لها نهضة ، دون أن يكون لها مثل وقيم تستمدها من دينها وتقاليدها، ودون أن يكون لمستقبلها جذور طيبة متينة تمتد اليها من ماضيها المجيد •

والمسئولية التى ألقاها الاسلام على عاتق الآباء نحو أولادهم يوم كان البيت وحده صاحب التأثير والسلطان على الأولاد أصبح من العدل ، ومن واجب الشعور بالمسئولية ومن المصلحة العامة لمستقبلنا ، أن تتحملها مع الآباء كل أدوات التوجيه والتأثير التى ذكرناها فاذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول للآباء : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ، وجب على

كل ناحية لها تأثير وتوجيه أن تتقدم فى اخلاص وشعور بالواجب لتشارك الآباء فى مسئولية توجيه الأبناء الى حسن الخلق •

واذا قال الله تعـالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النـاس والحجارة (١) » •

وقال المفسرون : ان الله يريد بذلك أن يعمل الآباء على توجيه أولادهم لطاعة خالقهم والقيام بواجبهم نحو الله والناس، كان من الواجب فى جونا الذى نعيش فيه ، أن نجعل كل ناحية لها تأثير وتوجيه للأولاد ، مخاطبة كذلك بهذا الأمر من الله ، ومتحملة مع الآباء للمسئولية أمامه سبحانه ، ومحاسبة عـلى ما تقدمه من توجيه وتربية •

واذا قال الرسول عليه الصلاة والسـلام للآباء « مروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين• واضربوهم عليها لعشر سنين » وجب على المدرسة وكل عوامل التأثير على الأولاد فى المجتمع أن تتحمل نصيبها باخلاص فى تحمل مسئولية تنفيـذ هذا الأمر النبوى مع الآباء ، وتعويد الأولاد على طاعة ربهـم، منذ نعومة أظفارهم حتى يقوى ضميرهم الدينى فى كبرهم ، فان من شب على شىء شاب عليه •

---

(١) سورة التحريم آيه : ٦ •

وليس معنى هذا ولا أريد بهـــذا أن نخلى البيت من المسئولية ، أو نقلل من خطر الدور الذى يمكن أن يقوم به فى تربية الولد على تقوى الله ، وأداء الواجب فى اخلاص لدينــه ووطنه ، ولكن المقصود أن يشـــعر كل من له تأثير وتوجيــه بمسئوليته تجاه الجيل الجديد وألا تهدم ناحية ما تبنيه الناحية الأخـرى .

اذا كنت تبنيه وغـيرك يهدم فلن يبلغ البنيان يوما تمامه

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

ولقد عكف نخبة من الخبراء ومن المهتمين بأمور الشـباب على مناقشة بعض مشاكلهم وهل هناك ظاهرة جنوح للشباب فى مصر وما مدى انعكاس ذلك على المجتمع المصرى ، ومن المفيد أن نذكر هنا ما قاله رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة فى المناقشة وأن نذكر أيضا آراء بعض الشبان فى هذا الموضوع .

قال د. عبد الحميد حسن هناك فرق بين الجنوح والرفض الذى يسود شباب العالم وهى الموجة التى ترجع الى تكوينه النفسى والعقلى والفكرى !

والشباب يتطلع دائما الى المستقبل ويرفض الأمر الواقع الذى يعتبره الحد الأدنى المفروض أن يعيشه ، ويشترك فى هذا

الرفض شباب الدول النامية والمتقدمة ذات الظروف والحياة الميسرة • والجنوح حالات مرضية لا يتأثر بها كل جيل الشباب ولرجال علم النفس تفسير لها غير ما يفسره رجال الدين ولكنها ظاهرة متداخلة ومتشابكة • وبحكم معايشتى للقطاعات المختلفة للشباب فان هناك عوامل ساعدت على وجود ظاهرة الرفض بين بعض شبابنا منها تعدد المشاكل فى السنوات الأخيرة والتى ترسبت عن سنوات سبقتها كانت بلادنا تعانى فيها من الاحتلال والآثار الاقتصادية والاجتماعية له ، ويأتى بعد ذلك التقدم الحضارى السريع الذى يجرى فى العالم والذى أخل ببعض القيم وسهولة اطلاع شبابنا على ما يدور فى العالم مما يدفعه الى أحلام لمستقبله ثم تصطدم هذه الأحلام مع واقعه وقد يؤدى ذلك الى جنوحه فهو يتصور استطاعته الوصول الى ما وصل اليه أقرانه من شباب العالم وحتما سيكون ذلك على حساب القيم والتقاليد الراسخة فيه •

وأؤكد أن وسائل الاعلام فى بلادنا قاصرة عن الوفاء باحتياجات الشباب فبينما الأسرة والمدرسة تدعمان فى الابن أو الابنة أخلاقيات وقيما أساسية نجد السينما والتليفزيون وبعض المجالات تهدم ذلك ، ومثلا فان الموجة السائدة فى السينما مركزة على أفلام الاثارة والعنف وليس لدينا أفلام تخاطب الشباب من خلال مشاكله الحقيقية ومهام العمل الوطنى والاجتماعى •

كما أن المجلس الأعلى للشباب لم ينجح حتى الآن فى استثمار أوقات فراغ الشباب وسيأتى موسم الصيف ونرتبك فيما نفعله لاستغلال طاقات الشباب لا لمجرد اضاعة الوقت ولكن ليأتى منه عائد قومى وغرس للقيم .

والعلاج يأتى أولا من الأسرة فلا قيمة لما يلقنه المدرس من قيم دينية أو قومية ما لم يكن لها جذور تابعة من الأسرة ومن مشاهدات الشباب اليومية لأمه وأبيه .

وأن يكونا عونا له فى تنمية مهاراته والقضاء على أى ظاهرة مرضية فى جسارة ويأتى بعد ذلك تعاونهما مع المدرسة وعدم السلبية لعلاج أية مشكلات تواجه الابن فى حياته .

رأى بعض الشباب :

م.ط.ر : من الجيزة الثانوية . حفظنا القرآن فى الابتدائى ولما وصلنا الى المرحلة الثانوية نسيناه ، واقتصر تدريس الدين على ٤٥ دقيقة كل أسبوع تدرس فيها حوالى ٦ آيات فى العام كله ، وثلاثة أرباع زملائى فى الفصل لا يصلون أو يصومون وأضف الى ذلك أن ما ترتديه البنات غير محتمل !!

أ.ن.أ : آداب القاهرة : لابد من تطوير مفهوم التربية الدينية لمشاكل العصر ، أنا مقتنع بدينى ولكن كيف يكون الرسم والسينما من المحرمات أو المكروهات ولا يكون هناك حدود

لهذه المحرمات التى لا نعرفها ، ونحن نطالب آساتذتنا بأن يشجعوا طلابهم على أداء الصلاة واحترام التقاليد الدينية ، لا أن نفاجأ بأستاذ يمنع مجموعة من الطلاب من حضـــور محاضرته لأنهم تأخروا بسبب أدائهم للصـــلاة ٠

ى٠أ : المنصورة الثانوية : ليست كل فتاة ترتدى الملابس الطويلة تكون بالضرورة متدينة ، حقيقة أنا أصوم رمضان ولا أواظب بصفة دائمة على الصلاة ، وأعجب أن بعض الشـــباب يسخر من زملائه الذين يؤدون الصلاة ٠ ولا زالت المدرســـة لا تؤدى دورها الحقيقى فى تدريس الدين وبالطـــريقة التى تحبب الى الطلاب دراسة هذه المادة ٠

ن٠ص : آداب بيروت ٠ لا أنسى ربى أبدا وأؤدى فروض الصلاة والصيام فى رمضان ولكن المغريات العصرية طاغيـــة ولا يقابلها توعية دينية كافية ٠

ع٠أ : هندسة القاهرة ، أنا غير مقتنع بكفاءة القـــائمين على تدريس الدين سواء فى المسجد أو خارجه ولا يعنى ذلك أنى غير مؤمن بربى ودينى ٠

م٠أ : معهد التربية الرياضية : انقطعت عن الصلاة منذ عام لانضمامى لمجموعة من الشـــباب الذين لا يؤدون الصـــلاة ،

واكتشفت أن الفترة السابقة من حياتى كنت فيها أفضل فى دراستى وأفكارى .

م.س : معهد التعاون ، كيف أؤدى الصلاة وحولى مناظر تتنافى مع الصلاة قد يكون الزواج هو الحصن الواقى للشباب ولكن ما هو السبيل للشباب الآن للقدرة على الزواج .

م.ف : المعهد العالى للتربية : ثقافتى الدينية محدودة ولولا أسرتى لانعدمت تماما ويحزننى أن هناك زملاء لا يعرفون شيئا عن أبسط المسائل فى الدين ، والأمر المدهش هو انقطاع تدريس الدين فى التعليم العالى ، والدراسة الدينية فى المدارس جافة ويؤديها الطلاب كواجب لدخول الامتحان .

والآن نستعرض بعض المبادىء التى يقوم عليها منهج الاسلام فى التربية السلوكية والتى يحرص الاسلام على أن تلتزم بها كل عوامل التربية سواء البيت أو المدرسة أو أدوات التوجيه والاعلام والثقافة والمجتمع كله وهى :

١ ـ تربية الضمير الدينى .
٢ ـ بناء الشخصية السوية .
٣ ـ الاقناع .
٤ ـ الترغيب والترهيب .
٥ ـ مزج التربية العقلية بالتربية الدينية .

٦ ـ دور المسجد .

٧ ـ القدوة الحسنة .

٨ ـ حسن اختيار الأصدقاء .

٩ ـ النهى عن التقليد الأعمى .

١٠ ـ الاقتداء بالسلف الصالح .

أولا ـ تربية الضمير الدينى

عرفنا أن المراهق ينزع فى هذه المرحلة الى المناقشة والجدل وفى المسائل الدينية بوجه خاص تلك المسائل التى كان من قبل يقبلها عن طريق الانطياع والمحاكاة ، ويتفق ذلك زمنيا مع بلوغه سن التكليف الذى تصبح فيه التكاليف الشرعية واجبا يثاب على أدائها ويحاسب على تركها ، فما هو الطريق الصحيح الذى يتبعه القائم على تربيته .

الواقع أن الطريق الصحى هو الذى يتحاشى الصدام بين ما يطلبه المراهق بطبعه النفسى وبين ما يطلبه الدين ، ولا يتأتى ذلك الا بتربية الضمير الدينى الذى يحقق للمراهق احساسه بذاتيته واستقلاله وشخصيته فيندفع الى أداء واجباته على أكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية لا على قوة خارجية .

ولا شك فى أن الايمان الصادق العميق يبنى ضمير المسلم

ويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه ايمانه لا يشغله عن ذلك شاغل ويصوره لنا الرسول الكريم فى العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » ، ثم بقــوله « اياك اياك أن يراك حيث نهــاك » .

والمدرسة الاسلامية فى تربية الضمير الدينى لم تجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا وهو النجاة من العقوبة بل جعلت للخــوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا هو الثواب الجــزيل والأجر العظيم وهذا بعض ما يفهم من قول الله تبارك وتعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهــوى ، فان الجنة هى المأوى » وقوله : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

فاذا عود الشباب نفسه من بداية مرحلة احساسه بذاته أن يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله موقنا أن الله تعالى مطــلع على جميع أعماله ومعتقدا أنه تعالى يجازى من أطاعه برضــوانه واحسانه ، وأنه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه ، اذا عود نفسه على ذلك سهل عليه أن يفعل ما أمره الله به ويجتنب ما نهاه عنه فاذا سولت له نفسه أن يأتى معصية ردها وزجرها وذكرها بعزة الله وجلاله وأنه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه لا تخفى عليه خافية « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر

الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم » .

فالعربى المسلم الذى كان يقسم غنائم خيبر وعرض اليهود عليه رشوة فقال « لقد آمنت بربى قبل أن أؤمن بمحمد ، وبهذا أخزاكم الله ونصرنا عليكم » .

وراعى الغنم حينما عرض عليه أن يبيع واحدة منها وصاحبها لا يراه ، يصيح بصوت ملؤه الايمان : اذا كان صاحبها لا يرانى فأين الله ؟ ...

فالضمير الصافى أو القلب السليم هو النور الذى يهدى الانسان فى مسالك الحياة ويملأ النفس اطمئنانا ورضى ، فاذا ظفرنا بتربيته وايقاظه فى الشباب فقد أقمنا أقوى دعائم التربية الناجحة القويمة لهم . والقرآن الكريم يعبر عن ذلك بقول سبحانه : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » (١) ويقول صلى الله عليه وسلم : « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » . رواه البخارى .

وللعبادات التى فرضها الله سبحانه على المسلمين كثير من

---

(١) الشعراء ٨٨ — ٨٩ .

الأسرار النفسية والاجتماعية والمقاصد الحيوية التى تستهدف خير الانسان وتربية قلبه السليم ٠

والصلاة على رأس هذه العبادات ، وهى عماد الدين وهى أقوى رباط بين العبد وربه وقد اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يكون فى تكرارها طرفى النهار وزلفا من الليل ما يعمر الوجدان، ويزيد القلب خشوعا، فيطمئن القلب بذكر الله وتسلس الغرائز الجامحة ، فلا يكاد المؤمن المصلى ينسى ندمه وحياءه من ربه فى الصباح ويرجع الى خطيئة جديدة حتى يأتيه الظهر ثم العصر فالمغرب فالعشاء فلا ينام الا وهو نادم على ذنبه أو تائب عنه ٠

قال تعالى : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» ، ولقد نبه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الى تربية الأولاد على أداء الصلاة مع زيادة الاهتمام بها فى بداية سن المراهقة حين قال « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر » ٠

وحينما قال عمر رضى الله عنه « من لم يؤدبه الشرع فلا أدبه الله » كأنه كان يقصد الاشارة الى هذا المعنى ، فانه اذا لم تؤثر قوة الوازع الدينى أو الرقابة النفسية أو الضمير فلن يكون لقانون الأرض تأثير ٠٠

ومن هنا يجب علينا أن نعنى العناية كلها باحياء هذا الوازع

الدينى فى نفوس الأفراد ، وأن نتخذ منه وسيلة لتحصين القيم الأخلاقية عنـــدهم .

والدكتـــــور « دوبوا » الباحث النفسى الفرنسى يرى أن الضمير هو مجموعة الآراء الخلقية التى ترشد الانسان وتضبط سلوكه ، وأن هذا الضمير قد يتدخل فى تكوينه عنصر الوراثة، ولكنه ينمو ويقوم بالتربية وبتأثير المبادىء الدينية والخلقية ، بحيث يمكننا أن نعتبر الضمير ثمرة للتربية مع التسليم بأن هناك تأثير للاستعداد الفطرى يرجع الى الوراثة .

ويعلق على هذا أحد الباحثين الاسلاميين فيقول : « ان أكبر مقومات الضمير هو الاعتقاد باله قادر ، يحاسب على الكبائر والصغائر ، ويطلع على ما تكنه السرائر ، وبحياة بعد هذه الحياة يثاب أو يعاقب فيها الانسان على ما قدمت يداه ، فكل تربيـة وكل تعليم لا يغنيان عن صاحبهما شيئا ما دام ضميره مقفرا من هاتين العقيدتين وهذا هو المشاهد المحسوس ، فان الناس فى أيام جهالتهم ، وعدم انتشار التعليم فيهم ، كانوا بفضل هاتين العقيدتين أفضل حالا وأقوم أخلاقا مما هم عليه اليوم ، ويشهد بذلك كل من اطلع على التاريخ ، ودرس أحوال الأمم فى أدوارها المختلفة » .

والدين يعطى الفرد كرامته موفورة حين يوقظ فيه ضميره، ويجعل هذا الضمير حكما وفيصلا فيما يعرض للانسان من أمور

•• فنجد فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الطائفة من الأحاديث الشريفة :

استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك ـ استفت نفسك وان أفتاك المفتون ـ البر ما سكنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب، والاثم ما حاك فى الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس ـ ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع ـ يقول : أيها الناس ، هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تتفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال له : ويحك لا تفتحه ، فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من جوف الصراط واعظ الله فى قلب كل مؤمن •

ومن أفضل الأساليب التربوية فى تربية الضمير تعويد المراهق على ممارسة النقد الذاتى ، وهو عملية يقوم بها المراهق مع نفسه يستعرض فيها سلوكه بسلبياته وايجابياته وبسيئاته وحسناته ، ويقدر فيها موقفه من القيمة الانسانية التى قرر أن يحققها لنفسه ، يزن أعماله بميزان الاخلاق الاسلامية ، ثم يقرر

فى النهاية ما ينوى عمله لاصلاح نفسه وتنمية شخصيته نحو الكمال المنشود .

والطريق الى تربية المراهق على النقد الذاتى تقوم على أساس أن يرده المربى الى نفسه ، فيطلب منه – اذا ارتكب خطأ ما – أن ينقد نفسه بنفسه ثم يناقشه فيما يصل اليه .

وقد ثبت بالتجربة العملية أن تربية المراهق على النقد الذاتى يحقق المزايا والفوائد التالية :

١ – تربية الضمير السليم لدى المراهق .

٢ – غرس الشجاعة الأدبية فى نفسه .

٣ – حرص المراهق على السلوك السليم وعدم ارتكاب الأخطاء .

٤ – تقبله للنصح والتوجيه بصدر أرحب .

٥ – تقبله للعقاب المناسب اذا ما وقع عليه بصورة موضوعية وبأسلوب لا يؤدى الى مضاعفات نفسية .

واذا كان النقد الذاتى أمرا حيويا ومفيدا فى مراحل الحياة عموما ، فهو فى مرحلة المراهقة أشد حيوية ، ذلك لأن شخصية المراهق تتسم بالرغبة فى تأكيد الذات والرغبة فى مقاومة السلطة

---

(١) خلال قيادتى لاحدى المدارس الثانوية العسكرية الداخلية .

الى الحد الذى يعتبر فيها المراهق نصيحة الأبوين أو المربين تدخلا فى شئونه واعتراضا على حريته واستقلاله •

لذلك يكون اعتماد المربى فى تقويم سلوك المراهق على تعويده على النقد الذاتى محققا لرغبته فى تأكيد ذاته واعترافا منه بشخصيته وقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب بهدى تفكيره •

والمربى بذلك لا يصادر شخصية المراهق ولا يصادمها ولا يفرض عليها التوجيه فرضا ولا يولد لدى المراهق قوى المقاومة ولا يؤدى الى حدوث المشكلات الانفعالية •

ويقص الدكتور/ سيد عويس الخبير الأول بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية الجنائية فى كتابه « حديث عن الثقافة » واقعة تؤكد نجاح أسلوب النقد الذاتى والتربية الديمقراطية فى تقويم سلوك النزلاء فى احدى مؤسسات الأحداث والشبان الجانحين ، التى كانت تضم احداثا وشبابا ارتكبوا الجرائم على تباينها مثل السرقة والمخدرات والجرائم الجنسية والضرب، كما وجدوا فى حالات التشرد المختلفة مثل حالات التسول وجميع الأعقاب والمروق •• الخ •

وفى يوم من الأيام •• لاحظ المسئولون على المؤسسة انتشار وجود أعقاب السجاير فى أيدى أبناء المؤسسة وفى

جيوبهم •• يدخنون تارة •• أو يتبادلونها مع بعضهم تارة أخرى •• أو يجعلونها مادة للعب القمار فيما بينهم فى بعض الأحيان • ونوقش هذا الموضوع فى اجتماع المسئولين عن المؤسسة • • وانتهوا الى أن فرض القوانين لا يجدى ان لم يجد الظروف المواتية التى تخلق صداه فى نفوس أعضاء المؤسسة ، وان كان مجديا ، أحيانا ، فان بعض آثاره قد يكون ضارا •• ذلك لأن الأهداف الأساسية للعمليات التربوية التى يأخذون أنفسهم لتحقيقها هى تنمية المادة البشرية أولا •• أى اعداد أعضاء المؤسسة لكى يكونوا مواطنين صالحين • وهى ، ثانيا ، وقاية هذه المادة البشرية •• أى محاولة جعل أعضاء المؤسسة أن يبقوا باستمرار ، مواطنين صالحين • وهى ثالثا ، علاج المادة البشرية•• أى علاج من ينحرف من أعضاء المؤسسة عن تقاليدها وقيمها ومثلها العليا • وانتهى المسئولون عن المؤسسة أيضا ، الى أن هذه المواقف •• مواقف انتشار أعقاب السجاير فى أيدى أبناء المؤسسة وفى جيوبهم •• هى ، فى الواقع ، فرصة العمر لدعم مبادىء الديمقراطية بأنماطها فى مجتمع المؤسسة ، وذلك بتيسير ممارسة هذه المبادىء ممارسة سليمة وأتاحوا هذه الفرصة لأعضاء المؤسسة •• الذين ناقشوا الموضوع فى صراحة تامة تحت اشراف المسئولين •• ثم قرروا هم ، أنفسهم ، منع وجود أعقاب السجاير بالمؤسسة اطلاقا ، وقاموا ، هم ، أنفسهم،

بتنفيذ هذا القرار .. وفى خلال فترة وجيزة لم ير المسئولون عن المؤسسة ، بعد ذلك فيها ، أثرا لعقب من أعقاب السجاير.

ومن واقع خبرتنا العملية فى ادارة مدرسة ثانوية عسكرية داخلية نقص تجربة تثبت نجاح سياسة تربية الضمير الدينى فى بناء الشخصية السوية للمراهق .

فالمعروف أن النظام المعتاد فى المدرسة العسكرية الداخلية أن يقيم الطالب فى المدرسة طوال أيام الأسبوع ثم يسمح له بعطلة نهاية الأسبوع .

أما التجربة التى أجريناها فهى اننا قررنا السماح للطالب بأن يحصل على اجازة طارئة اذا ما حدث فى أسرته — خلال أيام اقامته بالمدرسة — ما يستدعى خروجه من المدرسة لفترة قصيرة مثل حالات المرض الشديد أو الزواج أو السفر الطويل للخارج .

وكان جوهر القرار هو أن نسمح للطالب بالاجازة القصيرة بمقتضى طلب كتابى يقدمه الى قائده يوضح فيه الظروف التى تدعوه الى طلب الاجازة الطارئة ، ودون أن نطالبه بتقديم مايثبت صدق طلبه مثل خطاب من والده أو ما أشبه ذلك من وثائق .

وكان يصاحب ذلك — بطبيعة الحال — تطبيق أساليب التربية الدينية فى حياة الطالب اليومية لتربية ضميره الدينى .

وكان من الطبيعى أن يبدى البعض تخوفه من أن يجد الطلبة فى هذا الأسلوب فرصة للحصول على الاجازة كذبا وبلا مبرر ، غير أن الاحصائيات أثبتت أن نسبة من حصل على اجازة طارئة لم تزد عن ٤ فى المائة من المجموع الكلى للطلبة ، وكان هذا معناه أنه حتى ولو فرض جدلا أن هؤلاء الطلبة كانوا كاذبين فى طلبهم ، فان هناك ستة وتسعين فى المائة لم يسيئوا استغلال الفرصة المتاحة أمامهم للحصول على اجازة خلال الأسبوع ، وما منعهم من ذلك الا ضميرهم الحى (١) •

وليس من شك فى أننا لو كنا اتبعنا أسلوبا غير هذا الأسلوب الذى يعتمد على الثقة والاطمئنان الى ضمير الطالب المراهق وعلى اشعاره بأننا نقدره ونعترف بشخصيته ونقف بجانبه، لما جاءت الاحصائيات بمثل تلك النتيجة الطيبة ولأدى أسلوب عدم الثقة والقهر الى تحريك قوة المقاومة لدى بعض الطلبة ودفعهم الى التحايل لتقديم الوثائق التى تؤيد طلبهم للحصول على الاجازة كذبا وبلا مبرر •

---

(١) بمجرد حصول الطالب على أجازة طارئة بناء على طلبه كان يرسل الى والده أو ولى أمره خطاب يفيد بذلك ؛ وذلك فى نطاق التعاون بين المدرسة والبيت وكان الطلبة يعلمون ذلك •

ثانيا ـ بناء الشخصية السوية

عرفنا أن مفهوم الصحة النفسية (١) يعنى « قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا التوافق يؤدى به الى التمتع بحياة خالية من الاضطرابات ، مليئة بالتحمس • ويتسم الفرد وفقا لهذا المفهوم بالرضا عن الذات أى رضى الفرد عن نفسه ، ولا يبدو منه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعى كما أنه لا يسلك سلوكا اجتماعيا شاذا ، بل يسلك سلوكا معقولا يدل على اتزانه الانفعالى والعاطفى والعقلى فى مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف •

والشخص الذى هذا نمطه ، يعتبر فى نظر علم الصحة النفسية شخصا سويا ، أو ذا شخصية سوية ، ويتمتع بالصحة النفسية •

واهم ما تتميز به الشخصية السوية ، القدرة على التحكم فى الذات ، وتحمل المسئولية وتقديرها ، والتعاون البناء •• والقدرة على مواجهة المخاوف والقلق وأشكال الصراع المختلفة، والتمتع باحترام الذات ، والقدرة على جذب الآخرين نحوه ، والحصول على حبهم وتقديرهم ، والمرونة فى مواجهة الواقع،

---

(١) الصحة النفسية للدكتور/مصطفى فهمى •

والعناية والاهتمام بغيره من أبناء المجتمع والقدرة على اتخاذ أهداف تتناسب مع قدرته على تحقيقها » .

ومنهج الاسلام فى بناء شخصية المسلم يجعلها شخصية سوية متمتعة بكل مظاهر وأركان الصحة النفسية :

١ ــ فالاسلام اذا خالطت بشاشته القلوب يشيع فيها الطمأنينة والثبات « والاتزان الانفعالى والعاطفى والعقلى » ويقيها من القلق والخوف والاضطرابات كما يفهم من قوله تعالى :

ــ « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

ــ « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ــ « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

٢ ــ ويعنى الاسلام بغرس أركان الصحة النفسية فى المسلم فى المراحل الأولى من عمره حتى تكون حياته خالية من الاضطرابات والقلق ، ومن ذلك مثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس (وقد أردفه خلفه وهو صبى) بدوام الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة فقال : «ياغلام: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا

استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » .

٣ — ويوجه الاسلام الانسان الى المرونة فى مواجهة الواقع ويقيه من القلق أو الحزن اذا لم تتحقق له بعض حاجاته فى الحياة ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

٤ — والصبر عند البلاء ، والشكر فى السراء من شيم المؤمن ومن أسباب الطمأنينة والخير له ، وهو ما يفهم من قوله تعالى :

— « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » . (١٧٧ البقرة)

— « ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم » (٤٠ النمل) .

— «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم» . (٧ ابراهيم)

وما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك الا

للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

٥ ــ والملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى للمسلم (سن التكليف) يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى ، وينطوى ذلك على معنى عظيم وعميق هو أن يخرج الفرد المسلم الى الحياة يحمل رصيدا مناسبا من الأسس النفسية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الانسان مع نفسه ، ومن القدرة على التحكم فى الذات والسيطرة على نزعاته وغرائزه ، وكل ذلك بفضل الايمان والتربية الدينية الصحيحة .

٦ ــ ويقيم الاسلام الصلة بين المسلمين على الحب والمودة والتراحم .

ــ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . »

ــ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ــ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

٧ ــ والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، والتسامح هو الطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : « ولا

نستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » •

وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله •

٨ ــ والانسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة فى مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى أقرها الاسلام •

٩ ــ وتطلع الانسان الى ما فى يد غيره وتطلعه الى أهداف فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعله دائم الضيق والألم وقد يدفعه هذا الى الانحراف حتى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره والقرآن يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) فاذا أراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه شكر وان لم يعطه صبر وله الثواب فى الحالتين ومع ذلك فقد يكون ما فى يد غيره مقصودا به الفتنة ولقد عافاه الله منها « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ورزق ربك خير وأبقى » • فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء ويبعد نفسه بذلك

عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعلي عن المغريات ولو كان في حاجة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب الحلم من الله ، أن يصفي قلبه ، ولا يجعل في قلوبنا « غلا للذين آمنوا » .

١٠ ـ ويطلب الله جل شأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما : « ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه « واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان » .

وهذا نهاية الأمن والطمأنينة التي يحتاج اليها الانسان .

ثالثا ـ الاقناع

ومن أهم ما يدعو الاسلام المربين الى تحقيقه هو توليد الرغبة والدافع وتحري الاقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة بالتوبيخ ، فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتمل ذلك منه ، الا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذي نشأ في عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ، وما ذلك الا لندرة هذا النمط في الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه ، ويؤكد هذا المعنى أيضا ما جاء في حديث آخر « عجب ربك من شاب ليس له صبوة » ومن أجل هذا كان الشباب في كل المجتمعات وفي كل العصور دائما موضع

الملاحظة بالنظر الى ظروفه النفسية والعقلية فى فورة النضج التى أشرنا اليها حتى قال الشاعر :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قربوه ، ادن . فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتحبه لأمك ؟ قال: لا ، جعلنى الله فداءك ، وقال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا ، جعلنى الله فداءك ، فوضع الرسول صلى الله عليه سلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه وحصن فرجه ، فلم يكن شىء أبغض اليه منه يعنى الزنا » .

فهذه هى الحكمة فى الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى: « قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » واننا لا نكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته فى اللطف وتحرى الاقناع بالرفق واللين ، ومن أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن هنا

نعلم السر فى جعل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل الناس عقولا ، وأصفاهم أرواحا وأحسنهم أخلاقا .

والقرآن الكريم يرشد الى التلطف فى القول والرفق فى المعاملة مع تحرى الاقناع قال تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » وهناك قصة رمزية تحكى عن جدل دار بين الريح والشمس ادعت فيه كل منهما أنها أقوى من الأخرى وفى تلك الأثناء كان هناك رجل يسير فى الطريق ، فاتفقتا على أن من تجعل منهما ذلك الرجل يخلع سترته تكون هى الأقوى وبذلك يحسم الجدل . فبدأت الريح تهب شديدة قاسية لكن الرجل لما هبت الريح أخذ بأطراف السترة ولفها حول نفسه ، وكلما اشتدت الريح زاد تمسكا بأطرافها .. وهكذا فشلت الريح وجاء دور الشمس فسلطت أشعتها الحارة نحو الرجل حتى اذا سرت حرارتها فى جسده وتصبب منه العرق خلع سترته وهكذا نرى الرجل قد قاوم أسلوب العنف والارغام الذى مثلته الريح ، بينما استجاب لاقناع الشمس بأن الجو حار فخلع سترته بمحض ارادته وحده .

ان حرية الانسان هى حق طبيعى وحيوى وحقيقة بديهية فى المدرسة الاسلامية وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بأن يكون للانسان الحرية فى التفكير ، لأن تعطيل حريته أو مصادرتها يتناقض مع مصلحته فى الحياة ومع معنى العبادة التى

خلقه لأجلها ومع التكاليف التى أمره بها ولا سيما فى اتبـاع مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها • قال تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » •

وقال تعالى : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » •

والأمر الجدير بالتأمل حقا والذى لا يصح ألا يخفى علينا هو أن دعاة الالحاد والتحلل من التقاليد والقيم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال فى الرأى تلك المعانى التى تصادف هوى لدى المراهق على وجه الخصوص وتتفق تماما مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته فنراه ـ لأن نضجه العقلى والنفسى لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

انما تنجح المقالة فى المـرء   اذا صادفت هوى فى الفـؤاد

فيجدر بالمصلحين والمربين أن يجعلوا أسلوبهم فى التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الانسان التى قال الله تعالى فيها : « وهديناه النجدين » وقال : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) •

وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحيـــاة والموت والجبـر والاختيار والفناء والخـلود والمادة والروح والبعث والجـزاء وبالرسالات السماوية وشرائعها ، والتطور البشرى ومقتضياته ، والنظم الاجتماعية والسياسية وفلسفاتها الى غير ذلك ، فان كمال العلم فى الحلم ، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع المربى أن يعالج أمراض النفوس وهـــو هـادىء النفس مطمئن القلب لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق وحسبنا فى هذا قـول الله تعالى لامام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

فالداعى والمصلح الذى يضيق صـــدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم الساخنة سوف يدفعهم الى الانصراف من حـــوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بأنوار دينهم ويعرضهم للوقـوع فى براثن أعداء الدين والأخلاق .

ومن أجل ذلك فالتربية الصحيحة للمراهق تعتمد عـلى الاعتراف بشخصيته الجديدة النامية وعلى مساعدته على تحقيق ما يتمناه لنفسه بأسلوب تربوى رشيد ، أما اذا حيل بينه وبين رغبته فى تحقيق ذاته فسوف يقع فى براثن اليأس والقنـوط والحزن والآلام النفسية بسبب ما يلاقيه من احباط وقد تنشـأ عن هذا الاحباط انفعالات متضاربة وعواطف جامحة تدفع بعض

المراهقين الى التفكير في الانتحار . والتربية الصــــحيحة أيضا لا تقابل الثــورة بالثورة ، بل تتطلب من الوالدين والمــربين أن يخلقوا جوا من الثقة بينهم وبين أولادهم وتلاميذهم وأن يكون رائدهم الاقناع ، وألا يوقعوهم فى عقدة القنوط بالتقريع واللوم اذا ما اتفق لأحدهم أن أسرف على نفسه ، وعليهم أن يتبعوا نهج القرآن فى الترغيب والترهيب فيفتحــون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة . قال تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفــر الذنوب جميعا (الزمر ٥٣) » وقال تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمــة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم (الأنعام ٥٤) » .

رابعا ـ الترغيب والترهيب

ولو تأملنا أسلوب القرآن فى الترغيب والترهيب لوجدنا خير المناهج على الاطلاق فى التربية الدينية قال تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخــرة أعتدنا لهم عذابا أليما » .

ففى هذه الآية بيان لهداية القــــرآن الكريم بالتــرغيب والترهيب ، فالترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوى ، والترهيب بوعيـــد

المخالفين الذين تعدوا حدود الله تعالى ، وانذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم ان الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما ، والوعيد كذلك يشمل نقمهما وشقاءهما .

فبالوعد ساق الطائعين الى الجد فى الطاعة ، وبالوعيد أوقف العاصين عند حدود الأدب .

قال تعالى ترغيبا فى جنس الطاعات : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

وقال جل شأنه ترغيبا فى صالح العمل : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وقال ترغيبا فى التقوى : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » .

وقال ترغيبا فى التمسك بالدين : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم و لاهم يحزنون » ـ « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » أى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه .

وفى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم : «اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : انى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم توضع له المحبة فى الأرض ».
وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أكثر ما يدخل الجنة «تقوى الله وحسن الخلق » .

ولسنا هنا بصدد ذكر ما جاء فى القرآن والسنة من آيات وأحاديث فى الترغيب فى جنس الطاعات أو أنواعها أو الأخلاق الفاضلة وانما سقنا أمثلة لبيان الأسلوب وسحره الجذاب الذى يولد الدافع النفسى الى الطاعة ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيبا فى الصدقة « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

أما عن الترهيب الذى جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف ، فان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما أعلمهم به من نواميس ربوبيته ، وأقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفاسدة والأخلاق المذمومة محل سخطه وموضع

انتقامه فى الآخرة والأولى ، وهو فى كل حال حاكم عـادل «ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

قال تعالى: « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » وقال جل شأنه : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصـيرا »

ومن أمثاة أسلوب الترهيب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن عقوق الوالدين : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا : بلى يا رسول الله فقال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » متفق عليه

ومن أساليب الترهيب أن يقرر المربى فى أذهان الشباب أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب ، وان كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التى صدرت منه، فالشباب ــ ونضجه العقلى لم يكمل بعد ــ قد يتساهل فى أمر الآخرة ويستخفه ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر وخاصة أنه يخطو خطواته الأولى نحو بناء مستقبله ، فينبغى أن يخوف بعقوبة الله فى الدنيا وبأن الذنوب يعجل شـؤمها فى الدنيا غالبا ، قال تعالىٰ « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعـلهم يرجعـون » وقـال جل شأنه : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهـم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا

يكسبون » وقال عليه الصلاة والسلام : خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر » .

وروى الحاكم باسناد صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » . وقد يتفق مع طبيعة المراهقة من حيث الرغبة فى تأكيد الذات المجاهرة بالمعاصى أمام أقرانه من قبيل المباهاة وعدم المبالاة وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من ذلك حين قال : «كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه البخارى ومسلم ..

فى هذا الحديث يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يمن بفضله ومغفرته على من يخطىء من أتباعه وأمته سوى أولئك الذين يتوقحون فاذا ارتكبوا معصية لم يكتفوا بما ارتكبوا بل راحوا يعلنون عما ارتكبوا ، كأنهم لا يعنيهم حساب ولا يخيفهم عقاب ، ولا يردعهم وازع من خلق أو حياء .

ولا شك أن الانسان اذا زلت قدمه بهفوة ثم سترها وخاف من اعلانها ، دل بهذا على وجود الحياء عنده ؛ فهو يستحى

أن يظهرها ، وهذا يستتبع أنه يعدها شيئا قبيحا لا يليق به ولا يجمل منه وهذا يستدعى أن يفكر فى الاقلاع عنها والفرار منها فكأن ستر المعصية أو عدم المجاهرة بها أسلوب من أساليب مقاومتها فى نفس صاحبها .

وهو فى الوقت نفسه أسلوب من أساليب حصر المعصية فى أضيق نطاق ، لأن سترها عند الذين وقعوا فيها بالفعل لايجعل الكثيرين يطلعون عليها ، ولو اطلعوا عليها لاستمرأ منهم من يستمرىء وتجرأ عليها من يتجرأ ، فتشيع الفاحشة بين المسلمين، والقرآن المجيد يقول : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وينبغى أن يفهم شبابنا أن الله تبارك وتعالى انما يعفو عن مرتكب الخطيئة المستورة اذا ندم عليها ، وتاب منها واستغفر ربه بعدها ، واستشعر أنه قد أخطأ فى ارتكابها ، وأما اذا أتاها متعمدا لها ، وعاودها مصرا عليها ، فانه لا يكون معافى ، حتى ولو كانت معصيته مخفية مستورة عن عيون جميع الناس .

خامسا ـ مزج التربية العقلية بالتربية الدينية

ومن الملاحظ أن تحقق القيم الروحية يستلزم عادة المزج بين تكوين الاعتقاد السليم وتكوين الثقافة العقلية الواسعة ..

وذلك لأن غرس التدين الذى هو أساس القيم الروحية ، يكون عن طريق النظر والبحث والتأمل والاستنباط ، ولأن الاستدلال على وجود الله سبحانه يكون عن طريق العقل والعلم ، وهذه آيات من القرآن الكريم يتجلى فيها التحـــريض على الايمان والاعتقاد بوساطة الدراسة والبحث فى آيات الكون ، فهى تجمع بين نفحات الروح وجلوات العقل :

فلينظر الانسان مم خـلق »

« وفى الأرض آيات للموقنين »

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع »

« والشمس وضحاها، والقمر اذا تلاها، والنهار اذا جلاها، والليـل اذا يغشاها » .. الخ .

« ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من الســماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها » .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهـم أنه الحق » . الخ .

ومتى امتزجت التربية الروحية بالتربية العقلية نشأت عن ذلك قوة الشخصية ، لأن العقل ينمو فيستفيد الانسان فى حياته ومعيشته وقدراته ، وتسمو الروح وتقوى فتكون عاصما من الزلل والخطل ، ولو استطعنا أن نجعل الناشئة تعقل الأشياء بقلوبها وتحب الحياة بعقلها لخرج من هذه الناشئة نماذج تبهر وتروع ، ومن حسن الحظ أن القيم الروحية فى الاسلام تجعل القيادة عند الانسان فى يد القوة العقلية المزدانة بكريم العواطف والمشاعر ، وهذه القوة تستطيع اذا تمكنت من سلطتها أن تقوم خطوات القوة الغضبية والقوة الشهوية فى الانسان ، فيكون زمامه فى يد عقل قويم يصاحبه شعور كريم .

سادسا ـ دور المسجد

المسجد فى تاريخ الاسلام دار للعبادة وبرلمان للشورى ومؤسسة لتلقى العلوم وجامعة تعلم قواعد العقائد وفرائض العبادات ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وطريق المعاملات . وهو منطقة لعبادة الله تغشاها الرحمة ، وتنزل عليها السكينة وتحفها الملائكة .

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة ، وهو يحمل رسالة عالمية جعل مهد هذه الرسالة ومحور انتشارها يبدأ

من المسجد . وقد بدأ عليه الصلاة والسلام عمله فى المدينة ببناء مسجده العظيم وكان يعمل فيه بيده ويحمل أحجاره بنفسه .

فكان هذا المسجد النبوى مدرسة الدعوة الاسلامية الأولى ودار الدولة الاسلامية الكبرى .

تلك المدرسة التى فتحت أبوابها لمختلفى الأجناس من عرب وعجم .

ومختلفى الألوان من بيض وسود ، ومختلفى الطبقات من أغنياء وفقراء ومختلفى الأسنان من شيوخ وشبان وولدان .

وأفسحت صدرها للمرأة تحضر الجماعة ، وتشهد دروس العلم ، وتتفقه فى الحديث والفتوى .

مدرسة تلقن العلم والعمل ، وتطهر الروح والبدن . وتبصر بالغاية والوسيلة وتعرف الحق والواجب ، وتعنى بالتربية قبل التعليم ، وبالتطبيق قبل النظريات . فلا غرو أن تخرج هذه المدرسة من الخلفاء أمثال أبى بكر وعمر ومن القواد أمثال أبى عبيدة وخالد ، ومن القراء أمثال أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ، ومن العلماء أمثال عبد الله بن عباس وزيد بن ثابت ، ومن فضليات النساء أمثال عائشة وأم سلمة وحفصة وأم سليم .

كان المسجد المحمدى مدرسة الدعوة ، وكذلك كان دار

الدولة ، فيه يهيىء النبى العمل للعاطل ، والعلم للجاهل ، والمعونة للفقير ، ويرشد الى الأمور الصحية والاجتماعية ، ويذيع الأنباء التى تهم الأمة ، ويلتقى بسفراء الدول ومندوبى القبائل ، ويرتب جنود المعارك فى الحرب ، ويبعث الدعاة فى السر .

هكذا كان المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل كذلك فى عهد أصحابه ومن تبعهم باحسان .

ومن الأمور الحيوية أن يعود المسجد الى سابق عهده مركزا للاشعاع الدينى ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحى . روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أحب الى من صاحبه ، أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل ، وانما بعثت معلما ، وجلس الى أهل الفقه » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان ثم قرأ قول الله تعالى : «انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

ويقول الحديث القدسى الذى يزويه الرسول عن ربه « ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها هم عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره »

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى رضوان الله الى الجنــة » .

فمن الخير أن تكون للمسجد جاذبيته فى نفوس الشباب وأن توجه دروسه وعظاته نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التى تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية وتثبيت قلوبهم بالايمان الراسخ والعقيدة السليمة وأن يجدوا الاجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم .

وقد تطورت وسائل الاعلام ، وبعد أن كانت فى صدر الاسلام تعتمد على الكلمة والخطبة والكتاب والتربية ، أصبحت الآن تعتمد على عديد من الوسائل منها :

السينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون والصحف اليــومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والكتيب والكتــــاب ووسائل الايضاح وفنون الاعلانات والمقابلات .

وان رسالة الامام والدعاة ينبغى أن تستغل الوسائل المتاحة

وأن تخاطب الناس بروح العصر ووسائله كل ما أمكن سبيل الى ذلك .

ويمكن أن يلحق بمبنى المساجد الرئيسية مؤسسات اجتماعية مختلفة كالمدرسة والمسرح والنادى وقاعة المحاضرات وبعض الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية . فان ذلك يتفق مع رسالة المسجد فى العصر الحديث .

وحبذا لو استقبل المسئولون عن المسجد رواده بشىء من التسامح والعطف حتى نجذب الشبان والفتيات والأجيال الناشئة الى أماكن العبادة بروح راغبة فى تفهم دينها واصلاح دنياها وآخرتها .

وفى بعض المساجد الآن نهضة مباركة ، ودروس لتقوية الطلبة والطالبات خصوصا طلبة الشهادات العامة كالابتدائية والاعدادية والثانوية .

ونجاح هذه المجموعات يعطينا دليلا عمليا على أن الانسان العصرى يمكن أن يكون متدينا مستقيما ، وعاملا ناجحا فى الحياة اذا وجد السبيل الواضح والرعاية اللازمة .

سابعا ـ القدوة الحسنة

والقدوة خير معلم وخاصة للمراهق الذى يكون فى مستهل مرحلة نضجه النفسى والعقلى قابلا للتأثر بالقدوة ، لدرجة كبيرة،

من أجل هذا فعلى المربى أن يحرص كل الحرص على أن يكون قدوة صالحة ظاهرا وباطنا ، وأن يعمل بعلمه فلا يكذب فعله قوله ولا يخالف ظاهره باطنه ، بل لا يأمر بشيء ما لم يكن هو أول عامل به ، ولا ينهى عن الشيء ما لم يكن هو أول تارك له ليفيد توجيهه ويثمر ارشاده ، ففاقد النور كيف يستنير به غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وقد قال الشاعر فى هذا المعنى :

لا تنــه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك اذا فعلت عظيــم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيهــا　　فاذا انتهت عنــه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى　　بالقول منك وينفــع التعليم

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » . فهذا وعيد شديد من الله لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو فى نفسه مقصر. وقال جل شأنه : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » فهذا توبيخ لأحبــار اليهود على سيرتهم المعوجة فى الارشاد وهو أيضا انذار لمن يفعل ذلك من الناس من أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

وفى مثل هذا يقول الامام ابن القيم رحمه الله : علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس بأقوالهم ويدعونهم الى

النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا اليه حقا كانوا أول المستجيبين له فهم فى الصورة أدلاء وفى الحقيقة قطاع طرق .

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء عن الشباب والقدوة :

تشتد الوطأة على مظاهر من انحراف الشباب ، بقدر ماهم أمل الأمة وذخر غدها وأصحاب مستقبلها .

وقلما نلتفت الى الذين هم لهؤلاء الشباب مثل وقدوة . اذ تنحصر القدوة ، على الفهم الشائع ، فى الحكام والرؤساء .

وهى فى واقع الحياة تعم كل من يشغلون مراكز التربية والرعاية والتوجيه : آباء وأساتذة ومعلمين ودعاة وكتابا .

ومن هم فى موضع المثل ، كالعلماء والقضاة وقادة الفكر .

وفى صحيح الحديث الشريف : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالأمير على الناس راع وهو مسئول عن رعيته . والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم » .

وهى فى الاسلام مسئولية صعبة ، مضاعفة الجزاء ثوابا وعقابا ، بما يحمل الذى فى مركز القدوة من تبعة الذين يقتدون به ، هدى أو ضلالا .

بصريح آيات (الاسراء ٧٤ ، النحـــل ٢٥ ، ص ٦١ ، الأعراف ٣٨ ، الأحزاب ٣٠) •

وقال عليه الصلاة والســلام :

« ما من داع يدعو الى هدى الا كان له مثل أجر من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا • وما داع يدعو الى ضــلالة الا كان عليه مثل أوزارهم ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا»

والنساء فى هذه التبعة كالرجال ، سواء ، فيما نتلو من الآيات المحكمات (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجـــرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) •

وفيما نشكو من مظاهر الانحراف ، نلوم الشباب ونلح عليهم بالزجر والوعيد ، وهيهات أن يجديا اذا افتقدوا القــدوة الصالحة فى الدعاة والآباء والموجهين •

وتعوزنا ، لضبط المقاييس ، ان تكون لدينا أرقام احصائية عن رواد كهوف الليل وأندية الميسر وحانات الخمـــر وأوكار الفجور : كم منهم من الشباب وكم من الآباء والأمهات والدعاة والموجهين ؟

ونفزع لفشو وباء الجنس والجريمة والمخدرات .

ولا نعرف على وجه التحديد الاحصائى ، كم من الشباب تجار هذه البضاعة ، وكم منهم ضحايا تجارها ومروجيها الكبار.

ويصدمنا مرأى العرى الجرىء والابتذال الرخيص على سواحل المصايف ، ولا نعلم كم من بنات المسلمين العاريات من اشترين (المايوهات) من مالهن الخاص ، ومن اشتراه لهن آباء وأزواج .

وتصدمنا مظاهر الترف الباذخ وجنون الثراء الفاحش ، مع ما تعانيه مصر من ضغط تكاليف المعركة وأعباء المرحلة ، ولم تفكر أجهزة الاحصاء ومراكز البحوث الاقتصادية والدراسات الاجتماعية ، فى تحديد أشخاص هذه الطبقة السرطانية لنعرف كم منهم من أبناء البلد الشباب ، وكم من كتاب الاشتراكية ومؤلفى قصصها ومن دعاة التقشف والزهد ..

غير أننا لا نحتاج الى أى احصاء ، لندرك أن الشباب وعامة أبناء البلد ، ضحايا ما نشكوه من محنة فساد الذمم والضمائر ، وانتعاش الأسواق السوداء .

كما لا تعوزنا أرقام لنعرف أن الشابات يخرجن مع الأزواج والآباء ، لقضاء الليالى الساهرة مع الكأس والرقص .

ومهما يبلغ بنا الجهل بالمعروض فى دور السينما من أفلام الجنس والجريمة والوطن فى حرب تحرير ، فان الدعاية الاعلامية تغزونا حيثما كنا ، فى البيوت وفى الطرقات ، بالصحف والاذاعة. فلا نحتاج معها الى معرفة ضغط الاغراء الذى يشد شباب الجيل الى مصيدة الفن .

وليس شباب اليوم صما وعميانا ، ليفوتهم دوران الدعـاة مع الريح ، أو يغيب عنهم تكافؤ الفرص بينهم وبين أبناء محترفى النقد الساخط على فروق الطبقية والدعوة الصارمة الى محاربة الترف والانحراف .

ومقرئو القرآن ، يتلون فى الناس صباحا ومساء :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » صدق الله العظيم .

ثامنا ـ حسن اختيار الأصدقاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

والانسان بطبعه يحتاج الى خلان وأصدقاء يأنس اليهـم

ويأنسون اليه ويحبهم ويحبونه ويفضى اليهم بأسراره ومشاكله ويفضون اليه كذلك بأسرارهم ومشاكلهم.. ومن طبيعة الأصدقاء أن تكثر بينهم المعاشرة والمخالطة ويؤثر أحدهما فى الآخر وتنتقل اليه أخلاقه وسلوكه فى الحياة حتى ليصبح الصديق عنوانا على صديقه وصورة قريبة منه حتى وجدنا الشاعر العربى يصور هذا حين يقول :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وحتى قيل فى الحكم : خبرنى من تصاحب أخبرك من أنت.

ولهذا كان على المربى أن يرشد الناشئين الى أن الانسان العاقل يدقق فى اختيار أصدقائه وخلصائه ويفكر كثيرا قبل انتقاء جلسائه ورفقائه فى حياته لأن الأصدقاء هم ثروة الانسان الحقيقية وذخيرته التى يجابه بها هذه الحياة .. ولابد للانسان أن ينتقى ثروته ويطرد عنها الزائف ويفحص ذخيرته قبل أن ينزل بها لمعترك الحياة ..

ومن أجل هذا وجدنا الاسلام تكفل بارشادنا الى كل خير نافع لنا فى هذه الناحية الهامة فى حياتنا ويزودنا بنصائحه وتوجيهاته ويرسم لنا الطريق الى اختيار الأصدقاء الذين ينتظر أن تدوم مودتهم وتصدق عشرتهم ويرشدنا الى أن تؤثر أولئك الذين لهم صلة طيبة بالله الذين يخشونه فى سرهم وجهرهم

ويرعونه فى صلتهم بالناس فى غيبتهم وحضورهم والذين يحرصون على أداء ما فرضه الله عليهم وعلى الجهد وحسن الانتاج فى أعمالهم وعلى قدر صلة هؤلاء بالله وطاعتهم له وخشيتهم منه تكون صلتنا بهم وحبنا لهم .. غير ناظرين الى ما لهم أو مركزهم أو جاههم .. وهذا هو ما عبرت عنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحب فى الله أى حب الانسان ومعاشرته لمجرد أن له صلة حسنة بالله لا صلة حسنة برئيس ولأنه صاحب خلق لا صاحب مال كثير ومركز كبير أو جاه عريض يتقى شره أو يرجى نفعه لأن صلة الحب والمعاشرة فى الله هى الصلة الدائمة المثمرة التى يباركها الله وينميها فى الدنيا ويظل أصحابها بظله فى الآخرة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى » .

وفى حديث آخر يقول : « وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين والمتزاورين فى » .

ولقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الحب والصداقة فى الله تزيد الايمان فى النفوس وتجعل الانسان يشعر بحلاوة الايمان وثمرته فى دعم الصداقة بين الناس وذلك حين قال : « أربع من كن فيه وجد حلاوة الايمان » . ومن هذه الأربع : « أن تحب المرء لا تحبه الا لله » .

أما اذا تهاون الانسان فى اختيار أصدقائه ومعاشريه فخالط السفهاء وأصحاب الريب والمفرطين فى حق الله الذين لا يؤدون ما فرضه الله عليهم من صلاة وصيام وغيرهما والذين لا يهمهم الخوض فى أعراض الناس أو أكل أموالهم بالبـــاطل والذين يتآمرون على دينهم أو مصالح وطنهم فانه بلا شك سينحدر معهم فى طريقهم ويكتسب منهم صفاتهم ويكون جرثومة مثلهم فى المجتمع ولهذا يحذرنا الله سبحانه من الركون الى أمثال هؤلاء فيقول : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » .

ويصور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نتائج الصداقة والمعاشرة فى صورة حية ملموسة حين يقول : « انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك (أى يعطيك) واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة » .

فأنت تستفيد من الصـــالحين على أية حال ان لم تحملك معاشرتهم على الاقتداء بهم ومسايرتهم فى أعمالهم فأنت على الأقل تكتسب سمعة حسنة بمعاشرتهم وذلك على عكس معاشرة المفسدين والمنحلين فانك ستخسر على أية حال ان لم تحملك

معاشرتهم على مجاراتهم فى فسادهم وانحلالهم وسوء خلقهم فان سمعتك على الأقل تتلوث بما يعرفه الناس عنهم من سوء .. ويحكمون عليك بما يحكمون به عليهم .

على أنه مما ينبغى ملاحظته أن الصداقة ليست سلعة يحصل عليها الانسان بسهولة ولكنها كنز ثمين يحتاج العثور عليه والمحافظة عليه الى حسن خلق وبذل ولطف معاشرة ومن واجب الصديق على صديقه أن يحفظ غيبته ويهب لنجدته ويرعى مصالحه ويقدم له النصيحة فى لطف وكياسة كما أن من واجب الصداقة أن يكون الانسان سهلا فى محاسبته لأصدقائه ويتجاوز عما قد يقع منهم أحيانا من خطأ غير مقصود ويقبل عذرهم عن خطأ مقصود حتى يحافظ بذلك على بقاء صحبتهم ولا يفرقهم من حوله فليس هناك من لا يخطىء وكلنا خطاءون وخير الخطائين التوابون ..

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

فلا بد للانسان من أن يتسامح فى أحيان كثيرة ويلتمس العذر لأصدقائه حتى تدوم له صحبتهم ومودتهم :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

تاسعا ـ النهى عن التقليد الأعمى

نحن أمة اسلامية كان لها ماضيها فى القيادة والسيادة ، ثم أصابها ما يصيب الأمم من ضعف ومرض ، فمالت الى تقليد غيرها من الأمم القوية ، وكاد الاستعمار يغمرها بمظاهره وتقاليده وأساليب تفكيره ، لكنها الآن بدأت تصحو وتتجه الى نهضة حضارية شاملة •

ومما يشغل بال المربين أن يتجه شبابنا الى تقليد الغرب تقليدا أعمى فى كثير من مظاهر حياته وعاداته وتقاليده (١) بدعوى التحضر والمدنية ، غافلين عن أن هذا الاتجاه يقودهم الى التبعية ويمحو شخصيتهم ويضر بأمتهم وهى تجاهد لاستكمال شخصيتها •

من أجل ذلك يهاجم الاسلام التقليد والمقلدين فى كثير من آيات القرآن الكريم ويسخر منهم ، ويجعلهم كالحيوانات التى لا ارادة لها ولا ادراك فيقول عنهم :

---

(١) مما يذكر إن اطالة السوالف ظاهرة صهيونية قديمة يرجع أصلها الى الأسرى اليهود الذين ساقهم بختنصر الملك البابلى الى بابل بعد ان قضى على ملكهم وهدم الهيكل ؛ فاجبرهم على أن يطيلوا سوالفهم تمييزا لهم عن الوطنيين البابليين فقلبوها هم الى ظاهرة لها أصل فى دينهم وتقاليدهم. حتى لا يقال انها شارة الذل والعبودية ؛ بل شارة دينية ؛ وهم الآن يبثونها بين الشباب ويتلاعبون بهم كما يتلاعبون بكل شيء فى هذا العالم •

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون (١) » .

ويتكرر فى القرآن مثل هذا التصوير القبيح للمقلدين لينفر النفوس من التقليد ويحررها من اساره ، ويحرضها على التفكير الحر المستقل ، ويحذرها من السير وراء الغير دون وعى أو تفكير ..

ثم كان من حسن رعاية الاسلام للتفكير الحر المستقل وتشجيعه له أن جعل للمفكر المجتهد الذى يخطىء الصواب فى اجتهاده أجرا ، وللمصيب أجرين ، فى الوقت الذى لم يقم فيه كبير وزن للايمان ، الذى يأتى نتيجة التقليد دون تفكير أو بحث .

واذا تتبعنا خطوات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو يكون أول مجتمع اسلامى فى المدينة نجده – وهو المربى الأعظم – يحرص كل الحرص على ابراز الشخصية المستقلة للمسلمين ولم يتركهم يذوبون فى المحيط المشرك أو اليهودى الذى يعيشون معه ، فكان يتبع خطوات المسلمين وتصرفاتهم

---

(١) البقرة ١٧١ ، ١٧٢ .

بالتعديل ، وينقلهم شيئا فشيئا الى معالم الشخصية الجديدة للمجتمع الاسلامى الجديد ، ويخلصهم من آثار الجاهلية أو اليهودية ، سواء كان ذلك فى العبادة أو مظاهر الحياة الأخرى، حتى كان حين يأمرهم أو ينهاهم عن شيء يصرح لهم أحيانا بالعلة الباعثة على ذلك ويقول لهم : « وخالفوا اليهود » حتى قال يهود المدينة ما بال محمد لا يريد أن يترك شأنا من شئوننا الا خالفنا فيــه .

كان أهل المدينة حين دخلها الاسلام يحتفلون بعيدين من أعياد الطبيعة فمنع الرسول المسلمين من الاستمرار فى الاحتفال بهذين العيدين ، وقال لهم :

« ان الله ــ تبارك وتعالى ــ قد أبدلكم بهما خيرا منهما : يوم الفطر ويوم النحر » لأن أعيــاد كل أمة من أبرز معــالم شخصيتها ، ثم وضع للمسلين قاعدة اجتماعية كلية وتحــذيرا عاما لهم من التشبه بغيرهم والذوبان فيهم فقال : « من تشــبه بقــوم فهو منهم » .

ولم يكن ذلك منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ تعنتا أو أنانية؛ ولكن لأنه يعلم ــ وهو المربى الحكيم ــ ان التشبه بالغير فى بعض مظاهره ، قد يجر المسلم الى محاكاته فى أفعاله وأفكاره ، فيصبح صورة مكررة له ، ويهمل حينئذ مظاهره وآدابه ، وأفكاره

وتقاليده الخاصة به ، ويفقد بذلك معالم شخصيته المميزة له — كما نرى ذلك حولنا الآن فى بعض المجتمعات الاسلامية التى تعيش عيشة بعيدة عن الاسلام وتقاليده ولغته وآدابه — ويصبح المسلم حينئذ انسانا تافه الشخصية ، لا وزن له فى المجتمع المسلم ولا تقدير .. لا يحترمه حتى الذين يقلدهم ويفنى فيهم ..

فالذى يلغى عقله وشخصيته أمام غيره يستحق الرثاء لا التقدير ، ولا ينتظر من أحد أن يكرمه بعد أن أهان نفسه وألغى وجوده ، وصدق قول الشاعر :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها　　هوانا بها كانت على الناس أهونا

وعلى المربين أن يوجهوا الشباب الى أن يفرقوا بين مايتصل بتكوين الشخصية المستقلة من فكر وثقافة وتقاليد، وبين ما يتصل بالعقل والعلم ، فشخصية الأمة بثقافتها وتقاليدها أمر خاص بها. أما العلم فهو تراث الانسانية كلها . كل أمة شاركت فى وضع لبنة فى صرحه وفى تكميل ما بدأه الغير فيه دون حرج ، بل بالفخر والاعتزاز ، ولم تجرؤ أمة من الأمم على أن تدعى بأن علما من العلوم خاص بها ، وبشعبها ، ولم تشعر أمة من الأمم بأن مساهمتها فى تقدم العلم الذى فكر فيه وبدأه غيرها ، ينقص من قدرها ، ويجعلها تابعة . بل انها تجتهد فى هذه المساهمة بالاضافة ، وتشجع عليها بالمال والجهد وهى فخورة بذلك معتزة

به ، حتى أصبح سجل الشرف لكل أمة الآن فى التاريخ مرتبطا بما تقدمه من كشوف واختراعات ، وتقدم فى مجال العلم ، بل أصبحت قوة الأمم الآن مرتبطة كل الارتباط بسبقها للغير فى ميادين العلم .

لذلك كان استغلال مالدى الغير من علوم ونظريات فى الصناعة والزيادة عليه أمرا واجبا ، يدعو اليه صراع الحياة وغريزة البقاء وحب التفوق .

وليت شبابنا الذين برعوا فى تقليد المظاهر ، وتفننوا فى هذا التقليد يحاكون الأمم الأخرى ، المتقدمة علميا وصناعيا ، فيما برعوا فيه من علوم وصناعة ، ويتجهون الى سبقهم فى هذه الميادين .. فهذا أجدى عليهم وعلى أمتهم من هذه التوافه والمظاهر التى يجرون وراءها ، ويشوهون وجه الأمة بها ..

ولهذا وجدنا الرسول المربى القائد عليه صلوات الله وسلامه وجزاه عن أمته خير الجزاء ، فى الوقت الذى يشدد فيه على منع التقليدية والتشبه بالغير والذوبان فيه يحرص على أن يعلم أصحابه القراءة والكتابة عن طريق الاسرى المشركين فى معركة بدر ، ويجعل فداء الأسير الذى يعرف القراءة أن يعلم عشرة من المسلمين ، ويوجه زيد بن ثابت ـ صاحبه وكاتب وحيه ـ لأن يتعلم اللغة العبرية من أعدائه اليهود ، حتى لا يحتاج

الى يهودى يقرأ له أو يكتب بالعبرية ولم ير فى ذلك أية غضاضة عليه وعلى المسلمين ، لأن العلم مشاع بين الجميع •

ويقول صلى الله عليه وسلم يوجهنا الى العب من العلم والتقاطه أينما وجدنا : « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها » سواء أخذها عن مسلم أو غير مسلم • المهم أن يحصل على ضالته من الحكمة ، والحكمة هنا تشمل كل نافع من المعلومات فى أمور الدنيا أو الدين •

ولم يجد كبار المسلمين وصلحاؤهم من العلماء غضاضة فى أن يطلعوا على علوم الأولين من اليونان والروم والفرس ، ويستغلوها لصالحهم وصالح دينهم وأمتهم جريا على توجيه الاسلام •

فلا يخلط الشباب اذن بين ما نطلبه منهم من الاستفادة بعلوم الغير وصناعته والزيادة عليها ، وما نحذرهم منه من تقليد الغير فى مظاهره وثقافته الخاصة به وطابعه المميز له ••

لأن العلم تركة مشاعة بين الأمم كلها ، أما ثقافة الأمة وتقاليدها فهى تركة خاصة بها ، لا يليق بأحد من غير أبنائها أن يتطفل عليها ويأخذ منها ••

ويعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف نبنى شخصيتنا المستقلة ، ولا نكون امعات تابعين لغيرنا ولا أسرى لتقاليد باطلة•

فيقول : « لا يكن أحدكم امعة يقول ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » .

ومن أنفع وسائل دعوة شبابنا ــ وهم فى مرحلة المراهقة ــ الى التمسك بالدين والى خير الأعمال وحميد الخصال تسليحهم بالوعى المستنير بأهداف أعداء الدين وأعداء الأمة العربية والاسلامية وان كل ما يصوب نحو قلب هذه الأمة من وسائل التدمير المعنوى بالحرب النفسية والانحلال والفكر المنحرف أو التدمير العادى بالرصاص والقنابل والصواريخ ، ما هو الا مظهر لصراع حضارى خطط له أصحاب القلوب الجاحدة والنفوس المريضة الذين ينكرون فضل الحضارة الاسلامية على نهضتهم ، والذين يخافون أن تعود تلك الحضارة ــ بعد أن تدهورت بسبب عدوانهم واهمالنا للدين ــ الى سابق مجدها واشراقها .

فليبصر شبابنا مثلا بما قاله دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل فى أعقاب اغتصابها لأرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨ :

« ان أشد ما أخشاه لو أن قائدا عربيا ظهر فى يوم من الأيام ليقود نهضة عربية حضارية شاملة » وبما قاله أيضا عقب النصر الرخيص فى ٥ يونيو ١٩٦٧ :

« اننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض على حضارة العـــرب والاسلام » .

فهل بعد هذا دليل على أن جوهر الصراع بيننا وبين العدو هو صراع حضارى بالدرجة الأولى ؟ ان تتبع تاريخ الحضارة الاسلامية فى منجزاتها طوال العصور يؤكد أن الازدهار العربى فى عصوره الذهبية قام على سند من دين الاسلام الحنيف ، وان تراثنا وتكويننا النفسى والأخلاقى متأثر كل التأثر بذلك الدين وشبابنا فى أشد الحاجة الى احياء دينى وروحى يعدهم لدورهم فى هذا الصراع ويبنى نفوســهم ويقوى شخصياتهم ويقوم معوجهم من الانحراف والانقياد الى ما يفـد الينا من الخارج من مذاهب واتجاهات تحمل فى طياتها بذور الاستهتار بالقيم والمقومات التى يقوم عليها الايمــان والتدين وان أكبر ما يهون على المرء احتمال الضيم والذل جهله بنفسه ونسيانه شرف أسلافه وأجداده فتخفى عليه سيرتهم الحسنة ، وأعمالهم الجليلة الخالدة وأخلاقهم الكريمة ، فلا يخجل أبدا من السقوط فى حمأة الرذيلة ولا يستحى أبدا من اتيان النقائص :

من يهن يهن الهــوان عليه مالجــرح بميت ايــلام

وقد امتحنت الأمة العربية فى تاريخها الطويل بكوارث متعاقبة كانت كفيلة بالقضاء عليها ومحوها من مسرح الوجود ،

لو لم تحمها مقوماتها الدينية والمعنوية التى عصمتها من أن تفقد ذاتها •

ولقد سهر أعداء هذه الأمة على مدى القرون على عزلها عن أمجاد ماضيها وبطولات تاريخها وكان همهم الأكبر أن يبتروها من أصولها العريقة التى تمدها بأسباب القوة المعنوية وتزودها بسر البقاء •

فليعلم شباب الأمة العربية والاسلامية أن لأمتهم دينا يغنيها عن كل عقيدة ويقودها الى الرقى والمجد والتمكين فى الأرض ، ولا يحول بينها وبين الأخذ بكل ما ينفع من ثمرات العقول وجهود الشعوب ولباب الحضارة ، ولتوجه أنظار شبابنا أيضا الى كشف تلك التيارات المعادية للدين وللأمة التى تستخدم كلمة التطور أو التطوير فى التعبير عن معان يراد بها سلخ هذه الأمة عن خصائص عروبتها ومعالم اسلامها ، ودفع شبابنا الى تقليد الأجانب فى كل ما يأتون ويدعون تحت عنوان التطور والى تصوير التمسك بقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا الكريمة على أنه رجعية وتخلف •

وعلينا أن نبصرهم بأن التطور النافع لا يقوم على أنقاض التراث الأصيل :

ومن أضاع تراثا من أبوته   لم يستفد من سواهم قدر مافقدا

وان الدين لا يعوق الانسان عن تطوير أســاليب الحياة وتغيير مستوى المعيشة وابتكار كل ما يحقق الخير والرفاهية والرخاء من وسائل العمل والانتاج وكل ما ينفع الأفراد والأمة أجمعين فذلك هو مجــال التطوير الحق الذى يتفق مع دعوة الدين ، والذى سبقنا فيه غيرنا فوصــلوا الى ما وصلوا اليه وأحجمنا عن المضى فيه مع دعوة القرآن اليه فتخلفنا ، وما أروع ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى عبيدة بن الجراح :

« انكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » •

عاشرا ــ الاقتداء بالسلف الصالح

ويجب أن يوجه المراهقون الى الاقتداء بالسلف الصالح عامة والشباب منهم خاصة •

ان النماذج المشرقة من شباب الاسلام تنهض دليلا قويا على عمق التأثير الذى يوجده التدين والايمان بالله فى نفس الانسان ، ومن ذلك ما يروى عن الفاروق عمر بن الخطــاب رضوان الله عليه ، كان من عادته أن يطوف بالليل ، يتفقد شئون رعيته ، وذات ليلة كان الفاروق يسير على عادته فى طرقات المدينة ومعه مولاه أسلم ، فلما طال المطاف بعمر استند الى جدار بيت فى جوف الليل فاذا به يسمع امرأة داخل البيت تقول لابنتها :

« يا ابنتاه، قومى الى اللبن فامذقيه (أى اخلطيه) بالماء ، فانك قد أصبحت » .

واذا الفتاة تجيب أمها وأحب الناس اليها وأعزهم عليها : «أو علمت يا أماه بما كان من عزمة (أمر) أمير المؤمنين اليوم» ؟

قالت الأم : وماذا كان من عزمته يا بنيتى ؟

قالت الفتاة : لقد أمر مناديه فنادى فى الناس ألا يشاب (أى لا يخلط) اللبن بالماء .

فعادت الأم تقول فى تحريض : قومى يا ابنتى الى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر .

فغضبت الفتاة وردت قائلة : يا أماه ، والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا ، وان كان عمر لا يرى فرب عمر يرى، والله ما كنت لأفعله وقد نهى عنه » .

وليتدارس شبابنا من أمثلة البطولة الرائعة موقف الحسين رضى الله عنه وهو يواجه فى اثنين وسبعين رجلا جيشا مكونا من أربعة آلاف فارس فاتك ، فقد كان يستطيع بكلمة تصدر منه أن ينجو هو ومن معه من الموت الذى كان ينتظرهم جميعا ، ولكن الحياة عندهم كانت لا تساوى شيئا مع الشعور بالذل والرضا بالهوان ، فأبى رضى الله عنه ان يغالط ضميره وشعوره،

وقال يرد على الحر بن يزيد — وقد خوفه من الموت المحقق — أبالموت تخوفني ‥ ؟ ثم أنشد …

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وأسبى الرجال الصالحين بنفسه
وخالف مثبورا وفارق مجرما

فان عشت لم أندم وان مت لم ألم
كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ومضى رضي الله عنه يقاتل الذين قاتلوه ، ويضرب فيهم بسيفه ورمحه حتى سقط قبل أن يسقط العلم من يده ، وكتب بدمه الذكي أروع آيات البطولة في سجل الخلود ، ولم يخسر حياته فقد بقي حيا في ضمير كل مسلم ‥ وسيبقى حيا في ضمير كل بطل .

والصحابي الجليل والمجاهد القائد الشاب أسامة بن زيد ابن حارثة أنموذج رائع ومثل عظيم للشاب الذى نشأ في طاعة الله وطاعة رسوله والعمل لخدمة الاسلام ورفعة المسلمين ، وقصته وقصة أسرته والمناخ الذى نشأ فيه تستحق أن تروى لشبابنا وللمسئولين عن التربية معا .

فلقد نشأ أسامة على الاسلام لأن أباه كان من أوائل الناس اسلاما فشب أسامة حتى أدرك ولم يعرف الا الاسلام لله تعالى ، ولم يدن بغيره .

وعاش فى أسرة مؤمنة مجاهدة مضحية ، فأبوه زيد بن حارثة مات مجاهدا شهيدا فى غزوة (مؤتة) وأخوه لأمه أيمن ابن عبيد مات مجاهدا شهيدا فى غزوة حنين ، وأمه هى أم أيمن حاضنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهى من السابقات الى الاسلام ، ومن أهل الهجرتين ، وهى التى اشتركت فى أكثر من غزوة كأحد وخيبر ، وهى التى كان الرسول يقول عنها : (أم أيمن بعد أمى) ويقول عنها : (هذه بقية أهل بيتى) .

ولذلك ولغيره كان أسامة حبيبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان يقال له (الحب بن الحب) والحب ـــ بكسر الحاء ـــ معناها الحبيب ، وذلك لأن أسامة كان محبوبا عند الرسول كما كان أبوه رضى الله عنهما ، ولقد جاء فى السيرة أن النبى كان يحب أسامة حبا شديدا ، وكان عنده كبعض أهله ، وكان يجعله رديفه فى الركوب ـــ أى يركبه خلفه ـــ فى كثير من الأحيان . وكان ينظر الى أســـامة كمـــا ينظر الى سبطيه وريحانتيه من الدنيا : الحسن والحسين رضوان الله على الجميع ، ولقد روى أسامة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن بن على ثم يقول : (اللهم أحبهما انى أحبهما)

وفى رواية أن النبى كان يقعد أسامة على فخذه مع الحسين ويقول (اللهم انى أرحمهما فارحمهما) وقال الرسول عن أسامة: (من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة) .

ولقد كان أسامة أفطس الأنف أسود اللون كأنه الليل كما يعبر التاريخ ولكنه كسب هذه المكانة بطهارته وصفائه ، وصدقه ووفائه ، ونضاله وفدائه ، فقد آثر الاسلام واهتدى بهديه ، وهاجر مع النبى ، واحتمل فى سبيل الله ما احتمل ، وتفقه فى دينه ، وروى مائة وثمانية وعشرين حديثا ، كان يتطوع بالقربات والنوافل ، حتى أنه حرص خلال حياته على الصوم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

وعرف أسامة طريق النضال من أجل الاسلام وهو مازال يافعا ، وكان لا يفخر بمال أو نسب ، بل كان يعتز كل الاعتزاز برضى الرسول عنه وحبه له ، لأن حب الرسول دليل على حب الله ، ولذلك جعل أسامة نقش خاتمه هكذا : (أسامة حب رسول الله) .

وكان الرسول يكلف أسامة من حين الى حين بشئون تتصل بأهله ، فقد استخلفه مع عثمان بن عفان رضوان الله عليهما ، ليقوما على تمريض (رقية) بنت الرسول وزوج عثمان ، وقد ماتت رقية والمسلمون يجاهدون فى غزوة بدر ، فاشترك أسامة

وعثمان وغيرهما فى تجهيزها ودفنها • وكان أسامة رجلا عف اللسان طيب القول ، ولعل من شواهد ذلك أنه لما حدثت فتنة الافك حول السيدة عائشة رضى الله عنها ، سأل النبى أسامة عن رأيه ومشورته ، فأثنى أسامة خيرا • ثم قال يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعلم عليهن الا خيرا • ولقد اشترك أسامة فى سرية فدائية فى السنة السابعة من الهجرة وهو دون العشرين بسنوات كما يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما علم بأن خالد ابن الوليد أخذ الراية يوم غزوة (مؤتة) قال : فهلا الى رجل قتل أبوه ؟ يعنى أسامة • ويستفاد من هذا الخبر ان أسامة كان ممن جاهد فى غزوة مؤتة ، كما كان النبى يراه أهلا للقيادة يومئـــذ •

وكان أسامة ممن ثبت الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين بعد أن وقع الاضطراب الأليم الذى وقع فيها ولم يكن حب الرسول لأسامة الا لله وفى الله ، وعلى صراط الخضوع الكامل والخشوع الشامل أمام أمر الله ونهيه ومما يدل على ذلك ان القوم أرادوا من أسامة أن يشفع عند النبى فى أمر المرأة المخزومية التى سرقت ، حتى لا يقيم عليها الحد ، واستجاب أسامة لرجائهم وشفع لها عند النبى ، وهنا لم يذكر الرسول شيئا سوى أمر الله وحقه ، لأن حق الله فوق كل حق ، فقال لأسامة غضبا أو عاتبا :

(أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة . انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

وكذلك يروى أن الرسول بعث أسامة على جيش ذات مرة، وكانت أول تجربة لأسامة فى القتال ، فقاتل أسامة ببأس وشجاعة . يقول أسامة عن ذلك البعث : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ــ وقد أتاه البشر بالفتح ــ فاذا هو متهلل وجهه ، فأدنانى منه ثم قال ، حدثنى . فجعلت أحدثه فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلا، وأهويت اليه بالرمح، فقال : لا أله الا الله، فطعنته فقتلته . فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك بلا اله الا إلله ؟ ويحك يا أسامة فكيف لك بلا اله الا الله ؟ .

فلم يزل يرددها على حتى لوددت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الاسلام يومئذ جديدا ، فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا اله الا الله ، بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقبل وفاة الرسول بقليل عين أسامة قائدا على جيش المسلمين المتهيىء للذهاب الى غزو الروم وكان أسامة حينئذ دون العشرين من عمره ، وكان فى هذا الجيش أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وسعد بن أبى وقاص وقتادة بن

النعمان ، وغيرهم من كبار الصحابة ، ولكن الرسول المعلم أراد بذلك أن يدرب الشباب على القيادة أولا ، وأن يمجد ذكرى والد أسامة المجاهد الشهيد ثانيا ، وأن يعلم الأمة أن القائد انما هو رمز ، فاذا أصبح فى موطن القيادة وجب على الجميع أن يسمعوا له ويطيعوا ، وان يكونوا معه ومن ورائه يدا واحدة ووجهة واحدة وقلبا واحدا ، وبذلك تتعود الأمة الاجتماع على لواء الوحدة والتآلف .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم توفى قبل أن يخرج الجيش ، فلما تولى أبو بكر رضى الله عنه أمر المسلمين كان أول ما أصر عليه وشرع فيه هو انفاذ جيش أسامة الى غايته كما أوصى الرسول ، وزاد أبو بكر فى تكريم الجيش وقائده فخرج يودعهم ماشيا على قدميه ، والقائد الشاب فوق صهوة جواده ، وعز على القائد أن يركب والخليفة يمشى ، فقال لأبى بكر : يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل ــ فأجاب الخليفة قائلا فى عزم واصرار : والله لا تنزل ولا أركب، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل ساعة .

ومضى القائد الشاب بالجيش الى غايته ، وكان أسامة . موفقا مظفرا وجاهد جهادا كريما وأوجع أعداءه وعاد بغنائم ، بعد أن مكث مع جيشه فى أرض المعركة أربعين يوما ، وعرف أبو بكر لأسامة مكانته، واستخلفه على المدينة فى بعض الأحيان،

وكان عمر كلما لقى أسامة قال له (السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أمير أمره رسول الله ، ومات وهو على أمير .

لقد كان أسامة الى جوار جهاده ووفائه وفدائه ، رجلا بارا بأمه ، ولقد بلغ من بره بها أن كانت النخلة قد بلغت ألف درهم ، فأقدم أسامة على نخلة فنقرها ، وأخرج جمارها ، وأطعمه أمه ، فقالوا له ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟ فقال : ان أمى سألتنيه ، ولا تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتها .

الفصل السادس

التربية العسكرية للمراهق

تنطوى التربية العسكرية للمراهق على مشـــكلة تواجه المربى لأول وهلة :

فالعسكرية أساسها الطاعة والانضباط ، بينما أبرز سمات مرحلة المراهقة « الرغبة فى مقاومة السلطة » كما قدمنا عند دراسة علم نفس المراهقة .. فكيف يتأتى للمربى مواجهة هذا التناقض ، وحل هذه المشكلة بالطريقة التى لا تحدث تصادما بين مطالب التربية العسكرية وبين طبائع المراهق النفسية ؟

الواقع أن الاسلام يقدم لنا خير المناهج على الاطلاق فى هذا المجال وليس أدل على ذلك من أن التاريخ الاسلامى حافل بالنماذج المشرفة من شباب الاسلام الذين كانوا يخرجون الى المعركة فرحين مغتبطين ، ويغضبون اذا ردهم القائد لصغر سنهم، ويتطاولون على أطـراف أصـابع أقدامهم ليظهروا أمامه كبارا فيجيزهم وكان الاستشهاد أحب اليهم من السلامة ، بل كان أملا يتسابقون اليه .

* فقد منع الرسول عليه الصلاة والسلام شابين وهما ابنا خمسة عشر عاما من الخروج للقتال وهما سمرة بن جندب الفزارى ورافع بين خديج أخا بنى حارثة ، فقيل للرسول : ان رافعا رام (أى يجيد الرمى) فسمح له (١) ، ثم قيل له : ان سمرة (الشاب الآخر) يصرع رافعا ، فسمح له كذلك .. فماذا دعا الشابين وهما فى هذه السن الى الانخراط فى سلك الجندية والتسابق الى ميدان القتال ؟

* وقال عبد الله بن عمر : عرضت على رسول الله يوم أحد ، وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى . ورد الرسول يوم أحد زيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو ابن حزم وأسيد بن ظهير ثم أجازهم يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة .

* ويقول عبد الرحمن بن عوف : انى لفى الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : يا عم ، أرنى أبا جهل . فقلت : يا ابن أخى ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه .. وقال لى الآخر

---

(١) وقد ورد ان رافعا أخذ يتطاول على أطراف أصابع قدميه ليوهم الرسول أنه بلغ مبلغ الرجال فيسمح له بالقتال بعد ان قيل أنه رام .

صرا من صاحبه مثله، فأشرت لهما اليه، فشدا عليه مثل الصقرين، فضرباه حتى قتلاه ..

وقد استشهد هذان البطلان فى بدر وهما عوف وشقيقه معوذ أبناء الحارث الخزرجى الانصارى .

* وأخرج ابن سعد عن سعد رضى الله عنه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص رضى الله عنه قبل أن يعرضنا (يستعرضنا) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى . فقلت : مالك يا أخى ؟ قال : انى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيستصغرنى فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة ، قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده ، فبكى ، فأجازه .. فكان سعد رضى الله عنه (أخوه) يقول : فكنت أعقد حمائل (حمالات) سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة .

* وهذا هو حنظلة بن أبى عامر الذى زفت اليه عروسه ، ثم سمع المنادى يقول يا خيل الله اركبى (يعنى أيها المجاهدون اركبوا خيولكم) فانتزع نفسه من الفراش ، وقام معجلا ليأخذ مكانه فى صفوف المجاهدين ، وقضى الله أن يستشهد ، فلما انتهت المعركة ، طلب رسول الله زوجه وقال لها : حدثينى عن آخر عهدك بحنظلة ، فأجابت المرأة : كان بينى وبين حنظلة ما يكون بين الرجل وزوجه ، ولكنه سمع الهيعة (أى النداء

للحرب) فنهض مسرعا قبل أن يغتسل .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت الملائكة تغسله بالأمس فى صحاف من فضة بماء المزن بين السماء والأرض » .

* وهذا سعد بن أبى وقاص يقول : كنت ثالثا فى الاسلام، وأسلمت وأنا ابن سبع عشرة سنة .. وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وأول من أراق دما فى سبيل الله ، وشهد مع رسول الله المشاهد كلها ، وأبلى يوم أحد بلاء حسناء ، ويوم أحد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ارم سعد فداك أبى وأمى » ثلاث مرات ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وتوفى الرسول وهو عنهم راض ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب أمر الخلافة اليهم ، واستعمله عمر على الجيوش التى أرسلها الى الفرس ، فكان قائد الجيوش الذين هزموا الفرس فى القادسية ، وهو الذى فتح مدائن كسرى ، وهو الذى بنى الكوفة ، رحمه الله تعالى .

.. فما هو أسلوب الاسلام فى التربية العسكرية التى تصنع الشباب المؤمن القوى القادر على مواجهة التحديات الجسام ؟

أولا ــ ربط الطاعة والانضباط والتقاليد العسكرية بالدين :

لعل أهم أسس التربية العسكرية فى الاسلام هو ربط الطاعة والانضباط ، والتقاليد العسكرية بالدين ، واعتبارها من

علامات الايمان ، وهذا هو المدخل السليم لاقناع المراهق ـ الذى يقاوم السلطة بطبعه ـ بها ، وهو السبيل الى تفادى الصدام بين طبائعه النفسية ومتطلبات العسكرية .

فالانضباط ـ من وجهة نظر علم النفس العسكرى ـ هو « الحالة العقلية ومقدار التدريب التى تجعل الطاعة والسلوك السليم أمورا غريزية فى جميع الظروف » من ذلك نرى ان الانضباط هو شىء يمكن تنميته فى العقل ودعمه بالتدريب ويتجلى فى الطاعة والتصرف السليم غريزيا .

والانضباط السليم ليس هو الطاعة فقط ، فما الطاعة الا جزء صغير منه فالرجل الذى يتحلى بالانضباط حقا هو الذى يفعل ما يعرف أنه صحيح حتى فى « غيبة الأوامر أو الرقابة » ، أى أنه هو الذى يؤدى واجبه على أكمل وجه بدافع ذاتى ، لا بدافع خارجى .. وهذا الدافع الذاتى « لا يتولد بالارغام ولكنه يتولد فقط عن طريق الاقتناع » .

من أجل ذلك كانت أسس بناء الانضباط فى الاسلام هى :

١ ـ الحرية والكرامة الانسانية .

٢ ـ بناء الضمير الدينى للمسلم .

٣ ـ التدريب العملى على الانضباط ومن امثلة ذلك ما يتجلى فى العبادات . وقد تناولنا هذه الأسس سابقا .

٤ ـ اعتبار التربية العسكرية تكليفا فى اطار اعداد « القوة » التى أمر الله تعالى بها فى قوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، وفى اطار الجهاد فى سبيل الله ، وهو الوظيفة الشريفة التى اختار الله هذه الأمة لأدائها كما يفهم من قوله تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » (اجتباكم أى اختاركم).

٥ ـ التعريف بفلسفة الطاعة ، ومغزاها الاجتماعى ، فليست الطاعة فى الاسلام « خضوعا للسلطة » ، بل هى « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة ترتبط ارتباطا وثيقا بالقيادة التى هى الأخرى « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة فالله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

ويوضح الرسول عليه الصلاة والسلام ضرورة القيادة لصالح الجماعة فيقول : « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » ، كما يأمر بالطاعة فيقول : « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » .

ثانيا ـ بناء الجسم القوى :

حث الاسلام على تعلم السباحة وركوب الخيل والسباق فى الجرى ، والسباق بين الفرسان على الخيل أو الابل ،

والمصارعة ورفع الأثقال الى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم القوى السليم ، ويمدح الاسلام المؤمن القوى فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » • ويقول أيضا: « ان لبدنك عليك حقا » •

ثالثا ـ التدريب على السلاح والرماية :

وحث الاسلام على التدريب على الرماية بالقوس والنضال بالسهام ، والطعن بالرمح والحربة ، والضرب بالسيف ، وهى أسلحة القتال المعروفة فى ذلك الوقت ، وقد عنى النبى صلى الله عليه وسلم عناية فائقة بتدريب المسلمين على الرمى فقال :

ـ « ألا ان القوة الرمى » وكررها ثلاثا •

ـ « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والممد به ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب الى من أن تركبوا » •

ـ ومر عليه الصلاة والسلام بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى ، فنزع نعليه وقال : « روض من رياض الجنة » •• يقصد أن العمل الذى يعمل فى هذا الموضع (وهو التدريب على الرمى) يوجب روضة من رياض الجنة •

ـ وقد بلغ من تقدير المسلمين للتدريب على السلاح والرماية أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد ، وقد أثمر هذا التدريب ثمراته فى بلوغ المسلمين درجة عالية فى الكفاءة فى الرمى حتى لقبوا « برماة الحدق » أى أن الرامى اذا أراد تصويب سهمه نحو عين عدوه لم يخطئها •

رابعا ـ العناية بالأسلحة :

ويربى الاسلام المسلم على العناية بأسلحة القتال ومعداته ليس لأن « الأوامر العسكرية تقضى بذلك » ، بل وفاء بالأمانة التى فى عنقه والتى يأمره دينه أن يؤديها ويصونها ، ومحافظة منه على أدوات « القوة » التى أمر الله باعدادها وحرصا منه على أدوات « الجهاد فى سبيل الله » ، واحساسا منه وادراكا لعواقب اهمال هذا الواجب كما أخبر الله تعالى فى قوله : « ودالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » •

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة ، حيث كان يناول ابنته فاطمة سيفه ويقول : اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم » ، وناولها على بن أبى طالب سيفه وقال : وهذا أيضا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم •

خامسا — غرس الشجاعة والاقدام :

أعطى على بن أبى طالب الراية لابنه محمد المعروف بابن الحنفية وقال له : « تزول الجبال ولا تزول ، عض ناجذك أعز الله جمجمتك ، تد فى الأرض قدمك ، ارم ببصرك أقصى القوم، وأعلم أن النصر من عند الله سبحانه » (نهج البلاغة) .

تلك وصية على لابنه ، وهى تنطوى على غرس الشجاعة والاقدام ، ولا غرابة فى ذلك ، فعلى بن أبى طالب كان قدوة فى البطولة والشجاعة .

فلقد فزع الجيش الاسلامى فى غزوة الخندق — وهو يستعد للقتال — عندما اقتحم الخندق عملاق جيش المشركين عمرو بن عبدود .. وهو يصيح بصوت عريض أجش : أيها المسلمون .. هل يقوى رجل فيكم على أن يأتى لمبارزتى ؟ ..

قالها ثلاثا فلم يخرج اليه أحد ، فسألهم فى سخرية :

أين جنتكم التى تقولون انه من يقتل منكم يدخلها .. ألا يريد أحدكم أن يدخل الجنة بضربة من سيفى هذا ؟

فتصدى له على بن أبى طالب — مثل الشباب الخالد — وقال : انى مبارزك يا عمرو .. فقام اليه النبى ينصحه بأن يجلس قائلا : « انه عمرو » ..

فقال على بكل اليقين : وأنا على ٠

فاحتضنه النبى وقبله وألبسه عمامته وخرج معه بعض خطوات المودع ٠٠ ثم تركه لملاقاة عمرو ، وهو يقول : « الآن برز الاسلام كله للشرك ثم ناجى الرسول ربه : « اللهم أعنه عليه ٠٠ اللهم ان هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين » ٠

فلما اقترب على من عمرو ، نظره عمرو نظرة استخفاف فبادره على بسؤاله : يا عمرو ٠٠ انك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك أحد من قريش الى احدى خصلتين الا قبلتهما ؟

قال عمرو : ماذا تريد أن تقول أجاب : انى أدعوك الى الله ورسوله ، وأدعوك الى الاسلام ٠

فقال عمرو ساخرا : ليس بى حاجة لذلك ! ٠٠

قال على : ولكن بى حاجة الى مبارزتك ٠

وعاد عمرو الى استخفافه فقال : يا ابن أخى اذهب أنت وابعث لى من أعمامك من هو أشد منك ٠٠ فانى أكره أن أريق دمك ، وان أباك كان صديقا لى ٠٠ واللات والعزى ما أحب أن أقتلك ٠

فقال علي : ولكني والله أحب أن أقتلك . وبادر علي خصمه الغملاق بضربة سيف أطاحت برأسه .

وكانت بداية انتصار المسلمين في الخندق ، ودرسا لكل الشباب الذي قاد الفتوح بعد ذلك من حدود فرنسا حتى سور الصين ..

وهذا موقف آخر لعلي في غزوة بدر :

خرج عتبة وشيبة والوليد ، ودعوا الى المبارزة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم اذا جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله. فقام علي وحمزة وعبيد بن الحارث بن عبد المطلب فمشوا اليهم ، وكان علي رضي الله عنه معلما بصوفة بيضاء ، فقال عتبة لابنه : قم يا وليد ، فقام فقتله علي ، ثم قام عتبة فقتله حمزة ، ثم قام شيبة فضربه فقطع ساقه ، فكر حمزة وعلي فقتلا شيبة واحتملا عبيدة الى الصف ، فنزلت فيهما هذه الآية :

« هذان خصمان اختصموا في ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم » .

(امتاع الأسماع : ١ : ٨٥)

وكانت أم المجاهد المؤمن ، اذا خرجت وراءه تشيعه للمعركة ، وودعته بدعوة ان يرده الله اليها سالما ، رد عليها قائلا:

يا أماه ، أتطلبين لي السلامة!؟ استغفري الله ، واطلبي لي الشهادة والحسنى وزيادة ، وقد وصف الله هذا الشباب الممتلىء بالقيم الروحية بأنهم (فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقال « أشداء على الكفار رحماء بينهم » ووصفتهم توراة موسى عليه السلام فقالت « مع محمد قوم الى الموت أسرع من الماء في أعلى الجبل اذا انحدر الى أسفله ، ولا يبالون ، أسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهم ، بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، مصاحفهم صدورهم ، وقربانهم دماؤهم » . كان هذا الشباب المؤمن ينام بالليل وسلاحه تحت جنبه ، ليكون على أهبة الاستعداد لتلبية الدعوة اذا دعا الداعي ، فاذا سمع الهيعة طار على متن فرسه ، موقنا أنه ان انتصر غنم وان قتل استشهد ، والثانية أحب اليه من الأولى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

سادسا ــ دراسة التاريخ العسكري :

ويوجه الاسلام المسلمين عموما الى النظر في آثار السابقين، وماذا كانت نتيجة ما صنعوا وما كسبت أيديهم ، لاستخلاص الدروس والعبر ، والله سبحانه وتعالى يسمى علم التاريخ العلم بأيام الله في الشدة والرخاء ، في البأساء والضراء في الهزيمة والنصر ، والعلم بأسباب ذلك كله لنستفيد منه ، يقول الله تعالى:

ـ « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (آل عمران ١٣٧) .

ـ « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » (النساء ٢٦) .

ـ « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (هود ١٢٠) .

يستوحى من هذا أن الاسلام يوجه ـ في مجال التربية العسكرية ـ الى دراسة التاريخ العسكرى . ولا جدال في أن الشباب في سن المراهقة يقبل على دراسة المعارك وما فيها من مواقف الشجاعة والبطولة والفداء ، ويتأثر بما يبرز فيها من صور القدوة الصالحة في تلك المجالات ، ولعل هذا هو ما يفهم من قول أحد التابعين :

« كنا نعلم أبناءنا الغزوات كما نعلمهم الآية من القرآن » .

سابعا ـ غرس وعى الأمن والمحافظة على الأسرار :

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون أولادهم المحافظة على السر ، قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : انى أرى هذا الرجل ـ يعنى عمر بن الخطاب ـ يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسا :

لا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة .

وقال أنس بن مالك : أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجة فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (أى أخرك) فقلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت : ما حاجته ؟ قلت : انها سر . قالت : لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا .

وقد جعل الله تعالى الأسرار أمانة من الأمانات التى على المسلمين أن يحافظوا عليها فقال تعالى : « يأيها الذين آمنو لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ..) .

قال رسول الله « ألا لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ..

وقال أيضا « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان » .

وحذر النبى عليه الصلاة والسلام من المغامرة بالحديث أو التعجل بالقول وحث على ضرورة الحذر والتدبر قبل الكلام فقال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»

وقال أيضا « الصمت حكم وقليل فاعله « وقال » من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وبين الرسول أمانة الكلمة وخطرها فى قوله : « رحم الله امرءا أصلح من لسانه » . وسأله عقبة عن وسيلة النجاة فقال فيما قال : « أمسك عليك لسانك » .

وسأله سفيان بن عبد الله عن أمر يعتصم به فقال له « قل ربى الله ثم استقم فقال سفيان يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على ؟ فأخذ صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال : هذا ». ونهى الرسول عن اطلاق الكلام فى قوله « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » وقال عليه الصلاة والسلام « لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل (فضول) ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا . »

وحث الرسول على سرية الأعمال والخطط وقد ظهر ذلك واضحا فى السرايا والغزوات . وأوضح الامام على كرم الله وجهه قواعد الأمن والسرية للمعلومات فى حجم ما يقال وفى توقيته وفى المستوى الذى يبلغ اليه المعلومات فى قوله : « ليس كل ما يعلم يقال ولا كل ما يقال حضر أهله ، ولا كل ما حضر أهله حان وقته » وقال أيضا : « سرك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره » .

ثامنا ـ الحذر ودرجة الاستعداد العالية :

عنى الاسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر وبما نسميه درجة الاستعداد العالية لحرمان العدو من المفاجأة قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » • ولعل أبلغ ما يؤكد ذلك ما ورد فى القرآن الكريم بشأن الصلاة فى الحرب فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ولكنها تكون ركعتين بدلا من أربع، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول بينما الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة، حتى اذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) •

وهكذا أوجب على المسلمين أن تكون معهم أسلحتهم وجعل الطائفة الثانية للحراسة حتى لا يفاجئهم العدو فيكون سوء العاقبة •

ويبين الرسول الكريم فضل القائم بالحراسة فيقول : « عينان لا تمسهما النار يوم القيامة عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » •

ويقرر الرسول الكريم المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين ، فى أنها القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة فيقول عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة — يعنى صيحة خطر — طار اليها » .

وبتحليل هذا الحديث الشريف نلاحظ الآتى :

— كلمة « ممسك » فى عبارة « رجل ممسك بعنان فرسه » يعنى درجة أعلى فى الاستعداد من مجرد ركوب الفرس، وتنطوى على معنى الاستعداد الكامل للانطلاق بمجرد الاشارة .

— كلمة « طار » فى عبارة « كلما سمع هيعة طار اليها » ذات مدلول يختلف كثيرا عن كلمة اندفع أو اتجه أو تقدم أو أسرع ، وتعبر عن أسرع شكل من أشكال التحرك على الاطلاق وتعتبر أكثر ألفاظ الحركة دلالة على السرعة .

— ثم كلمة « خير الناس » التى تنطوى على تكريم المجاهد الذى يقف فى أعلى درجات اليقظة والاستعداد ، ومنشأ التكريم هنا هو مقدار العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يتعرض له المقاتل فى فترة استعداده القصوى الأمر الذى يستحق معه التكريم وتلك هى عدالة الاسلام .

وتنطوى تلك الكلمة أيضا على تحريض المجاهدين جميعا

على آن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للقتال الفورى حتى لا يؤخـذوا على غرة فيقع الضرر للجيش ثم ليـكونوا خير الناس ..

تاسعا ـ مقاومة الحرب النفسية ومنع ترويج الاشاعات :

ووضع الاسلام خير المبـادىء لمقاومة أسـاليب الحرب النفسية التى يهدف العدو من ورائها الى تدمير الروح المعنوية للمقاتلين واضـعاف مقاومتهم واصرارهم على القتـال ، فتقرر المدرسة الاسلامية أن العقيدة الراسخة المؤسـسة على الايمان الذى لا يتزعزع ، هى الركيزة العظمى لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية .

فالمؤمن ايمانا كاملا لا يخاف الوعيد ولا يرهب التهديد وليس جبانا رعديدا كأولئك الذين يقول فيهم الكتاب الكريم (فاذا جاء الخـوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) .

والمؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية الا ايمانا وثباتا واستعدادا للبذل والتضحية ، كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولعل من أروع الأمثلة التى تذكر فى هذا المقام ما حدث بين قائد جيش الفرس وبين خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين، وكان الفرس متفوقين فى عددهم أكثر من ستة أمثـال فبعث قائدهم برسالة الى المسلمين كلها حرب نفسية ، محاولا بث اليأس فى نفوسهم وافقادهم الأمل فى النصر على قوته المتفوقة تفوقا ساحقا • وهنا تظهر عظمة العقيدة الراسخة وأثرها العظيم اذ بعث خالد بن الوليد برد يقول فيه : « لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » وبهذا انتصر المسلمون •

ويحذر الاسلام من ترويج الاشاعات ويعتبر أشد أنواع الكذب أن يدعى الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشىء الذى يذيع عنه كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ان أفرى الفرى ـ أى أكذب الكذب ـ أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » كما يكشف الاسلام مدى الجريمة التى يقترفها مروجو الاشاعات كما يفهم من قوله تعالى : « اذ تلقونه بألسـنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيـم • »

وقوله : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيـا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » •

عاشرا ـ دور المرأة في المعركة :

تعلمت المرأة فى المدرسة الاسلامية دورها فى المعركة سواء فى ميدان القتال أو فى الجبهة الداخلية ..

ففى ميدان القتال كان دور المرأة القيام بخدمات الاعاشة والامداد بالمياه والطعام والخدمة الطبية من اسعاف وتمريض واخلاء للجرحى والشهداء ، روى عن احدى النساء المسلمات وتدعى الربيع قولها : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة » ففى غزوة بدر مثلا كانت السيدة عائشة أم المؤمنين تحمل قرب الماء لتسقى المقاتلين وكانت تساعدها فى ذلك أم سليم زوج أبى طلحة زيد بن سهل وأم أنس بن مالك .

وفى غزوة أحد كانت فاطمة بنت النبى مع الجيش تقوم بأعمال الخدمة الطبية فلما أصيب الرسول فى المعركة أسرعت اليه تضمد جراحه فجاءت بقطعة من حصير مصنوع من سعف النخل وحرقتها وأخذت ترابها ووضعته على الجرح فتماسك وجف .

هذا دور المرأة فى ميدان القتـــال أما دورها فى الجبهة الداخلية فكان دورا ايجابيا باليقظة والحراسة لحماية القاعدة التى انطلق منها الجيش .. ففى غزوة الأحزاب رأت صفية بنت عبد المطلب يهوديا يمر بالحصن فقالت لحسان بن ثابت : ان

هذا اليهودى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا اليهود ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا فانزل اليه فاقتله ، فأجابها حسـان : « يغفر لك الله يا ابنة عبد المطلب والله ما أنا بصاحب هذا » . فأخذت صفية عمودا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته .

ولقد وصل دور المرأة الى حد الاشتراك فى القتال فعلا كما فعلت صفية بنت عبد المطلب ونسـيبة بنت كعب فى غزوة أحد حينما انهزم المسلمون وتحرج الموقف فتركت الماء وحملت سيفا وحاربت دفاعا عن الرسول حتى جرحت .

ثم ان من أعظم أدوار المرأة المسلمة فى المعركة هو ضربها القدوة والمثل لزوجها أو لأولادها فى الروح المعنوية العالية المبنية على الايمان والعقيدة الراسخة فتشجعهم على الخروج للقتال وعلى الاستبسال فيه وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به . وأروع الأمثلة على ذلك ما قدمته الخنساء من مثل فريد حينما استشهد أولادها الأربعة فى المعركة ويجىء اليها نبأ استشهادهم فتقول: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

مراجع الكتاب

١ ـ هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة
الشيخ على محفوظ

٢ ـ الصحة النفسية
د . مصطفى فهمى

٣ ـ علم النفس
د . محمد أبو العلا محمد
د . محمد خليفه بركات

٤ ـ أصول التربية ونظام التعليم
د . على عبد الواحد وافى وآخرون

٥ ـ دراسة لبعض مشكلات الطلاب فى المدارس الثانوية
وزارة التربية والتعليم ـ التربية الاجتماعية

٦ ـ الخدمة الاجتماعية كأداة للتنمية
د . محمد طلعت عيسى

٧ ـ حديث عن الثقافة
د . سيد عويس

٨ ـ بحوث فى الفقه والتربية والمجتمع
المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية

٩ ـ **الدين والحياة**
وزارة الأوقاف نشرة ١٥ مكرر

١٠ ـ **مكتبة الامام**
وزارة الاوقاف (٢)

١١ ـ **النشرة الأسبوعية (الفرد المسلم ومدى اهتمام الاسلام به)**
وزارة الاوقاف (٤٥)

١٢ ـ **فقه العبادات**
د . عبد الله محمود شحاته

١٣ ـ **الى الشباب فى الدين والحياة**
د . عبد المنعم النمر

١٤ ـ **أسس التربية فى الوطن العربى**
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
لجنة التربية وعلم النفس ـ الحلقة الدراسية الأولى

١٥ ـ **المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية .**
المؤلف

١٦ ـ **التربية العسكرية فى الاسلام**
بحث للمؤلف ـ صحيفة التربية ـ العدد الثالث

الفهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

● هذا الكتاب

أول كتاب من نوعه يتناول مرحلة المراهقة وهى أخطر مراحل النمو على بناء الأنسان . ويعرض منهج الاسلام فى التربية السلوكية للمراهق فى البيت والمدرسة والمجتمع ، مع ربطه بأصول علم النفس والصحة النفسية ، كما يتناول التربية العسكرية للمراهق .

ويؤكد الكتاب أن هذا المنهج الذى أقام فى صدر الاسلام مجتمعا قويا ، وقدم للعالم قادة فكر ، وأبطال جهاد ، ورواد حضارة ، هو أحكم منهج لبناء الانسان القادر على أداء دوره فى نهضتنا الحضارية الشاملة .



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦٥ قرشا